عِنَايَةُ المُسْلِمِينَ بِإِبْرَازِ وُجُوهِ الإِعْجَازِ
فِي القُرْآنِ الكَرِيمِ

إعداد

الشيخ حسن بن عبد الفتاح أحمد

رئيس مجموعة بمراقبة النّصّ
بمجمّع الملك فهد لطباعة المصحف الشّريف
بالمدينة المنوّرة

المقدمة

الحمد لله القائل: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾ (صٓ: ٢٩) والصلاة والسلام على من قال الله له: ﴿ ثُمَّ إِنَّ عَلَيۡنَا بَيَانَهُۥ ﴾ (القيامة: ١٩) صلى الله وسلم وبارك على نبي الهدى ومصباح الدجى محمد الذي أنار الله به السبل وألف بين مناهجها حتى صارت سبيلا واحدا يدعو إلى الله على بصيرة هو ومن اتبعه. ورضي الله عن السائرين في سبيل الحق هداة مهتدين بنور القرآن، مستمسكين بعروته الوثقى التي لا تفصمها هجمة هوى، ولا تغادر عنها بثبوت الحق زعزعة النفس ضلالا وغواية، رضي الله عن أولئك الذين استعملهم في سبيل القرآن حَفَظَة لرايته، واستنطق بهم ما طواه العداء للقرآن من أعدائه، فراح الكرام العالمون يسلون سيوف البيان والإفصاح عن براهين تَبايُنِ كلام الله عن كلام الخلق. أسكنهم الله فسيح جناته لقاء ما أفسحوا من مجالات الدراسة، وجزاء ما أسهموا به من ضروب الكياسة، وكل هذا يمثل مظهرا من مظاهر معنى قوله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ (سورة الحجر: ٩).

أما بعد:

فكل كتاب يَرِثُّ كلامُه بكثرة البحث فيه، وتنضو الأفكار منه،

وينضب عطاؤه إلا القرآن الكريم، فإنه كلما قرأته ألفيت نفسك غير التي كانت بالأمس تقرأ، فالقرآن هو هو، وما تَلَقَّاه قارئه اليوم غير ما فتح عليه منه بالأمس، فإنك لا تجد واحدا من الكتب غير القرآن يعطيك هذا، يؤتيك كل يوم نفسا تقرأ في كل مرة أول مرة، إذ حين تقرؤه ألف مرة تكون كمن قرأ ألف كتاب، ومن يستزده يزده.

"ومن إعجاز القرآن أن يظل مشغلة الدارسين والعلماء جيلا بعد جيل، ثم يبقى أبدا رحب المدى سخيّ المورد، كلما حسب جيل أنه بلغ منه الغاية امتد الأفق بعيداً وراء كل مطمح، عاليا يفوق طاقة الدارسين"[1].

وتجلّت عظمة الإسلام في كون معجزتِه الخالدةِ هو القرآن، والقرآن كلام، وكل ما عدا الكلام في تغير وتطور مستمر، والكلام البشري وحده الذي إن لم يَقِل في عطائه لم يزد، وكل كلام له حد يبلغه معناه، والقرآن لا حد لمعناه وإن حصر كلامُه بين دفتي المصحف.

إنه لبرهان خالد ساطع الدلالة على صحة الدعوة الإسلامية الخاتمة وصدقها.

ولما كانت اللغة مطايا المعاني، تبدّى لدى الأوائل أن الكلام من حيثيات مختلفة مقصود التحدي، فأبدى المختصون منهم وجوه إعجاز

(١) من كتاب الإعجاز البياني للقرآن – عائشة عبد الرحمن "بنت الشاطئ" ص ١٧.

فيما يتعلق بلغة القرآن ونظمه، وأساليب الكلام وسائر ما عَنَّ لهم وعَرض في دراستهم. فتشعبت في ذلك فنون وعلوم، ونشأت معارف.

وحين تحوَّلَ العرب من جودةٍ إلى اختلالٍ في أركان القريحة العربية في قواعدها وألفاظها، نجد تحولا عجيبا يؤكد بقاء هذا الكتاب على نفس صورة عظمته لدى الأوائل، فكانت وجوه الإعجاز مضيئة عمر الأمة الخاتمة منذ عهدها الأول وحتى عصرنا هذا، وإلى ما شاء الله.

وتمثلت عناية المسلمين بهذا المجال أولَ الأمر في صورة الدفاع عن القرآن حتى أصبح هذا علما أفضى إلى علم كالبلاغة، واستقر بقاء الثاني أمارة على الأول، فالبلاغة مفتاح كشف وجه الإعجاز، ووجوه الإعجاز أساس علم البلاغة.

والقرآن كنز يستفتحه كل عصر بأدواته ليأخذ منه ما تسنى له من جواهره ودرره، وهو كريم كلما استثير أعطى، قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: "من أراد العلم فليثور القرآن فإنه فيه علم الأولين والآخرين"(1)؛ لذلك كان علينا أن نستزيد من العلم بالقرآن بكثرة مدارسته، فإنه لا يخلق على كثرة الرد، بل تَرْكُه دون إثارة فيه أفدح خسارة، فعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: "سَيَبْلَى القرآنُ في

---

(1) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه ١٠ / ٤٨٥. نقلا عن كتاب معرفة شأن القرآن إعداد محمد أبو البشر رفيع الدين ص ٨٦.

صدور أقوام كما يبلى الثوب، فيتهافت، يقرؤونه لا يجدون له شهوة ولا لذة، يلبسون جلود الضأن على قلوب الذئاب، أعمالهم طمع لا يخالطه خوف، إن قصروا قالوا سنبلغ، وإن أساؤوا قالوا سيُغفر لنا إنا لا نشرك بالله شيئاً"[١].

وهو غير مُتَبَذَّل، وخفاؤه في يسره، تمر به مرَّ الغافل فلا يزجي إليك منه شيئا، إذ هو لنزاهته أغفل منك عنك إن غفلت عنه، وإن أعطيته نفسك أعطاك رفده، وهو حَمَّال أوجه، وإلى هذه النكتة أشار أبو الدرداء رضي الله عنه حين قال: "لا يكون الرجل فقيها حتى يحمل الآية الواحدة على محامل متعددة"[٢].

ويدور القرآن مع الزمن فيفيض عليه من سَيْبه حسب طلعة السائرين على مدرجات هذا الزمن، وكلما امتدت إليه يد لم يُصْفِرْها، أو لهفة ظمأى ما صد عنها، بل كان الرُّواء، يعطي لكلٍ شِرْبَه، وعلى حسب الدِّلاء يكون العطاء.

اثنان لا يخجل أحدهما من الآخر ولا يستحِي منه ولا يعارضه، القرآن كتاب الله المقروء، والكون كتابه المنظور، لذلك لا تصادفُ نَفْرَةً من أحدهما في مواجهة الآخر.

---

(١) أخرجه الدارمي في سننه رقم ٢٣١٢ كتاب فضائل القرآن باب تعاهد القرآن، نقلا عن الكتاب السابق الإشارة إليه، ص ٧٩.

(٢) الفوز الكبير في أصول التفسير، ولي الله الدهلوي ص ٩٨.

ولقد قال الله تعالى: ﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴾ (يونس: ١٠١) وحين كفّ الإنسان نظره عن رؤية القدرة الإلهية في الكون، أنزل الله كلمته المسموعةَ في هذا القرآن، فألح القرآن في دعوته إلى أن يُفْترى شيء من مثله، وإذ قالوا: افتراه وليس من عند الله دعاهم إلى افتراءِ مثله، وعجزوا جميعاً متظاهرين متعاونين أو فرادى ناكصين ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ (الإسراء: ٨٨).

واستحكمت الغيرة في نفوس العلماء وراءهم أن ينال أحد من كتاب الله فأخذوا في بيان إعجازه وجوها عدة. حتى أفضت الدراسة إلى اعتبارِ رُؤيةِ التطابق بين القرآن وآفاق الكون في علوم العصر الحديثة وُجوهاً للإعجاز، أو بينه وما في النفس من دقائق الأسرار.

وتدخل ضمن هذين الإطارين منظوماتٌ أخرى فرعيةٌ تدل على مدى سَعة وجوه الإعجاز القرآني، وكثرة القائمين على العناية بها.

ولم يَحْبُ الله أمة بمثل ما أوتيت أمة الإسلام، فقد خَصَّها بالفضل كله، بنبيها الخاتم ﷺ، وبكتابه الخالد المعجز، وكونِها خيرَ أمة أخرجت للناس.

وجعل عصمتَها بكتابِه سرَّ قوتها، وتمسكَها به سبيلَ هدايتها؛ فهو الكتاب الذي وصفه النبي ﷺ حين قال: "مأدبة الله والنور المبين، والشفاء النافع، عصمةٌ لمن تمسك به، ونجاة لمن اتبعه، لا يزيغ فيستعتب،

ولا يعوج فيقوم، ولا تنقضي عجائبه، ولا يخلق من كثرة الرد"[1].

المعجزة القولية الكبرى، يحوي في سَعته أعاظم العجائب الكونية، ردَّ على طالبي الآيات الحسية ليردهم إليه، فأخرس في نفوسهم الكلامَ بإقامة التوجيه نحو القرآن وحده.

وقد حكى عنهم قولهم: ﴿وَقَالُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ قُلْ إِنَّمَا ٱلْأَيَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝٥٠ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ...﴾ (العنكبوت: ٥٠، ٥١).

ولم يكن التحدي من القرآن إلا لمن لم يقبل كونه كلام الله،فحين يكون كلاما لأحد من البشر يتصور عدم انفراد قائله بمثله، ولم يكن لأحد أبداً أن يحوز ميزة في كلام لم يبلغه في درجته سابق أو لاحق.

وها هو القرآن عبر القرون جميعا يمد تحديه شامخا ما نال منه أحد أبداً إلا كما قيل:

كناطحٍ صخرةً يوماً ليوهنها فلم يَضِرْها وأوهى قرنَه الوَعِل

وتنوعت أساليب العناية وأشكالها حين تناول المهتمون بإبراز وجوه الإعجاز على أنحاء عدة، تعرف ذلك من خلال هذه الأوراق البالغة في الدلالة قصورَ مَن خطّ ما فيها. وأسأل الله تعالى القبول والتوفيق إنه سميع قريب.

كاتبه

حسن عبد الفتاح أحمد

---

(١) أخرجه الحاكم من حديث عبد الله بن مسعود ١ / ٥٥٥.

سبب اختيار الموضوع

لم يقترح لي موضوع من جملة ما طرح، مما أربك سرعة الشروع في تقصي جوانب البحث بصفة شمولية، لذلك رحت أفاضل بين الموضوع والآخر على أسس شخصية فردية بحتة، وكلما استقرت النفس على موضوع بكرةً حادت عنه عشية، إلى أن هداني الله تعالى إلى موضوع "**عناية المسلمين ببيان وجوه إعجاز القرآن الكريم**" .

وصَمدَت في نفسي فكرة البحث في هذا الموضوع حيث يدعمها واقع المسلمين اليوم . وكأنهم بحاجة ماسة فعلا إلى آية، لا أقول ليؤمنوا بالقرآن، ولكن ليعلنوا هم لأنفسهم أنهم جادون في الأخذ بما في هذا الكتاب .

وحفظ الله الكتابَ تتنوع فيه المعارض، فصروح الطباعة صورة من صور الحفظ، والمنتديات المتعلقة بها وجوه التباحث في القرآن الكريم صورة ثانية، والهيئات الدولية كالتي تتبع رابطة العالم الإسلامي والمنوط بها دراسات الكتاب والسنة عموما، وبيان وجوه الإعجاز فيهما خصوصاً مظهر آخر .

ومن الواجب أننا بعد بيان مثل هذه الوجوه للإعجاز القرآني علينا أن نخرج من ضيق القول إلى سعة العمل ورحبه، فالكلام لا يجدي دون تجسيده في صورة عملية .

نعم ... حين نجوب أرجاء إثارة الكلمات القرآنية تمطرنا سموات عليائها بسامي المعاني، ولكن نجتزئ من الموضوعات ما يناسب إطار البحث دون تجوز أو تجاوز .

وابتناءُ أمرٍ على غير أساس ينزع إلى التعجيل به وإن أقيم، وكذلك مظهر الدين لا يبقيه عدم جوهره وهو الإيمان، لِذلك يلزم الدخول إلى القرآن بسابق إيمان بحت بأنه غالب قاهر لسلطان العقل ونظريات العلم، متعانق هو والحقائق بآصرة الصدق والثبات، وإلا فما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون؟ .

لهذا وغير هذا اخترت هذا الموضوع، موردا نفسي موارد التقحم بغير أهلية البحث، أشابه أهله وإن لم أشبه أدناهم .

عسى الله أن يجعل في عجز القصور قبولا، وفى قصور العجز منالا، وأن يكون الذي حمل على نفسه تتبع خطو السابقين قد أجمل في سبيلهم المسير، والله الهادي إلى سبيل الرشد وسواء الصراط .

والحمد لله رب العالمين ،،،

مظهر العناية بماهية الإعجاز

مادة عجز في "القاموس المحيط" أوردها الفيروزآبادي على النحو التالي :

العجز مثلثة وكَنَدُسٍ وكَتِفٍ مُؤَخَّر الشيء جمعه أعجاز، وأعجزَه الشيءُ فاته، وأعجز فلانا وجده عاجزا وصيره عاجزا، والتعجيز التثبيط والنسبة إلى العَجزِ .

ومعجزة النبي ﷺ ما أَعْجَزَ به الخصمَ عند التحدي، والهاءُ للمبالغة وعاجز فلانٌ ذهب فلم يُوْصَلْ إليه، وفلاناً سابَقَه فعَجزَه فسبقه، وإلى ثِقَةٍ مال إليه . وتَعَجَّزْتُ البعيرَ ركبتُ عَجُزَه.

وقوله تعالى: ﴿ ... مُعَاجِزِينَ ... ﴾ "أي يعاجزون الأنبياءَ وأولياءهم، يقاتلونهم ويمانعونهم ليصيروهم إلى العجز عن أمر الله تعالى، أو معاندين مسابقين أو ظانين أنهم يعجزوننا[1] .

وعرَّف الرازي في محصله المعجز بأنه "أمر خارق للعادة مقرون بالتحدي، مع عدم المعارضة" . وعقَّب بمحترزات التعريف فقال :

"وإنما قلنا –والكلام للفخر الرازي– أمر : لأن المعجز قد يكون إتيانا بغير المعتاد، وقد يكون منعاً من المعتاد، وإنما قلنا : إنه خارق للعادة : ليتميز به المدعى عن غيره، وإنما قلنا : إنه مقرون بالتحدي : لئلا يتخذ

(١) باب الزاي فصل العين ٢ /١٨٧، ١٨٨ من القاموس المحيط لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي الطبعة الثانية، مصطفى البابي الحلبي . بتصرف .

الكاذب مُعْجِزَ مَنْ مضى حجة لنفسه، وليتميز عن الإرهاص والكرامات. وإنما قلنا : إنه مع عدم المعارضة: ليتميز عن السحر والشعبذة" [1].

والمعجزة أمر خارق للعادة مقرون بالتحدي ،سالم عن المعارضة وهي: إما حسية، وإما عقلية[2].

والمعجز بهذا المعنى يدخل فيه من وجوه الإعجاز ما اتُّفِقَ عليها وما اخْتُلِفَ فيها، ويخرج عنه ما قاله أبو الحسن الأشعري على النحو الذي سيأتي إن شاء الله بيانه عند تقسيم الوجوه .

ولقد أجمع عامة الباحثين من علماء العربية والتشريع والفلسفة والفرق المختلفة، أن القرآن معجز، فما معنى أنه معجز؟

للجواب عن معنى الإعجاز ثَمَّةَ تعريفان للإعجاز[3]:

أحدهما : هو المعتمد لدى جمهور العلماء والباحثين وهو: أن القرآن قد سما في علوه إلى شأو بعيد بحيث تعجز القدرة البشرية عن الإتيان بمثله، سواء كان هذا العلو في بلاغته أو تشريعه أو مغَيَّباته أو غير ذلك.

---

(١) كتاب المحصل "وهو محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين من الحكماء والمتكلمين" لأبى عبد الله محمد بن عمر بن حسين فخر الدين الرازي (٥٤٤هـ-٦٠٦هـ) (١١٤٨م-١٢٠٩م) (تقديم وتحقيق، الدكتور/حسين أتاي مكتبة التراث ٢٢ شارع الجمهورية ـ القاهرة ـ صـ٤٨٩ الطبعة الأولى.

(٢) الإتقان للسيوطي صـ١٠٠١ .

(٣) من روائع القرآن تأملات علمية وأدبية في كتاب الله عز وجل د/ محمد سعيد رمضان البوطي. مكتبة الفارابي – دمشق، صـ١٢٥بتصرف يسير .

ثانيهما: تفرد به[1] أبو إسحاق إبراهيم بن سيار بن هاني النظام (ت ٢٣١هـ) اللغوي والمعتزلي المعروف ثم تبعه في ذلك بعض الناس من فرقته وجماعته، فالإعجاز عنده هو: أن الله قد صرف قدرات عباده وسلب همتهم وحبس ألسنتهم عن الإتيان بمثله.

وإتماماً للفائدة فإنه إذا كان النظام أول من جاهر بالقول بالصرفة، إلا أن ابن الراوندي أحمد بن يحيى المتوفى سنة ٢٩٨هـ في كتابه "فضيحة المعتزلة" الذي رد به على كتاب الجاحظ " فضيلة المعتزلة "هو أول من أثار مذهب الصرفة المشهور ونَسَبَهُ إلى أبي إسحاق إبراهيم النظام، وذلك ما أورده أبو الحسين عبد الرحيم بن محمد بن عثمان الخياط المعتزلي في كتابه "الانتصار" الذي ينقض فيه كتاب ابن الراوندي "فضيحة المعتزلة "[2].

والتعريف الأول يجعل مصدر الإعجاز علو منزلة القرآن عن مستوى الطوق البشري .

والتعريف الثاني يجعل المصدر حبس القدرات وصرف الهمم عن معارضته وتقليده، فالمنع هو المعجز وليس القرآن .

وابن حزم يروي في كتابه "الفصل"[3] كلاماً عزاه إلى الباقلاني إذ

---

(١) مقالات الإسلاميين للأشعري ١/٢٩٦.

(٢) قضية الإعجاز القرآني ص ١٤٣.

(٣) الفصل ٥/١١ .

يقول عنه: "ورأيت للباقلاني في فصل من كلامه، أن الناس ليسوا بعاجزين عن مثل هذا القرآن ولا قادرين عليه، ولا هم عاجزون عن الصعود إلى السماء، ولا عن إحياء الموتى، ولا عن خلق الأجسام ولا اختراعها، ولا قادرين على ذلك . هذا نص كلامه دون تأويل منا عليه، ثم قال : إن القدرة لا تقع إلا حيث يقع العجز" .

ومن أراد الرجوع إلى الرد على هذا الكلام الذى أسماه ابن حزم بالهوس فليطالعه عند كلامه على المعجزات .

وإيراد كلام الباقلاني هنا مقصود، لبيان جملة من الأقوال التي ضربت في معنى الإعجاز بسهم، لكن الباقلاني جعل الناس مناط بيان الإعجاز، ويفهم من قوله، أن الناس على جبلتهم لا يوصفون بعجز ولا قدرة، فمن أودعت فيه قدرة كان قادرا، ومن أودع فيه العجزُ صار عاجزاً .

وأقول : إنه لا تُعْلم القدرة إلا حيث يبرز العجْزُ، فمن عجز عن أمر فإن هذا الأمر يكون مقدورا عليه من غيره حتما، لأنه لا يوصف العاجز إلا حيث لم يتحقق منه الأمر،والأمر حتما لا يُعْلم إلا حيث يقع مقدورا من الغير.

ويسوق ابن حزم[1] قولاً للأشعري بأن المعجز الذي تحدى الناسَ بالمجيء بمثله هو الذي لم يزل مع الله تعالى ولم يفارقه قط ولا نزل إلينا ولا سمعناه .

---

(١) الفصل ٣/ ١٥.

ويقول ابن حزم في رده على ذلك: "وهذا كلام في غاية النقصان والبطلان، إذ من المحال أن يكلف أحد أن يجيء بمثل ما لم يعرفه قط ولا سمعه، وأيضا فيلزمه -ولابد بل هو نفس قوله-: إذا لم يكن المعجز إلا ذلك فالمسموع المتلو عندنا ليس معجزا، بل مقدور على مثله، وهذا كفر مجرد، لا خلاف فيه لأحد، فإنه خلاف للقرآن لأن الله تعالى ألزمهم بسورة أو عشر سور منه وذلك الكلام الذي هو عند الأشعري هو المعجز ليس له سور ولا كثير، بل هو واحد فقط، هذا القول. والحمد لله رب العالمين".

ويذكر الأشعري في "مقالات الإسلاميين" قولا لهشام وعباد[1] هو أنهما قالا: لا نقول إن شيئا من الأعراض يدل على الله سبحانه، ولا نقول أيضا: إن عرضا يدل على نبوة النبي ﷺ. ولم يجعلا القرآن علما للنبي ﷺ، وزعما أن القرآن أعراض[2].

ومن جميع ما سبق نخلص إلى نتيجة مفادها: أن الناظر إلى القرآن ككلام يحوي أعاجيب لا تنقضي، قال بالإعجاز القرآني، وبيَّن وجوها منه على نَحْوِ مَا سيرد إن شاء الله، ومن نظر إلى كلام الله النفسي جعله هو المعجز، وهذا حق متى علم، وهو لم يطلع عليه أحد بعد،

(١) هشام بن عمرو الغوطي من المعتزلة توفي ٢٢٦هـ، وصاحبه عباد بن سليمان الضمري من الطبقة السابعة من المعتزلة ت سنة ٢٥٠هـ. انظر الملل والنحل للشهرستاني، ط مؤسسة ناصر للثقافة ببيروت ١٩٨١م ص ٣١.

(٢) مقالات الإسلاميين ١/٢٩٦.

ولم يكن منه تحدّ إلى أحد من الخلق لأن التحدي كان حينما سمع المعرضون القرآن وقالوا إن الرسول ﷺ قد افتراه، حينئذ قال لهم: فأتوا بعشر سور مثله مفتريات، وما تحداهم إلا بمثل ما سمعوا ؛ ومن نظر إلى الناس فرأى فيهم ذا القدرة الفائقة على البيان وإجادة الكلام بنظم بليغ وقول مجيد ولم يجد منهم إقداما نحو الإتيان بمثله، بل من دفعه طيشه ونزقُه وأفنُ عقله إلى المعارضة، أتى بالسخيف مما لا يرقى إلى مستوى الإجادة المعتادة في كلام العرب، ومن رأى فيهم غلبة القرآن عليهم، قال بصرف الله لهم عن المماثلة والمحاكاة .

ومن رأى أن الأصل في الناس التفاوت قال إنهم ليسوا بعاجزين ولا قادرين، وهذا يصح فيما كان بينهم، ولكن فيما يكون من عند الله، فهم العاجزون والله تعالى على كل شيء قدير، ومن غالى استعظم أن يكون القرآن –وهو في زعمه عرض– دالاً على الله أو على نبوة النبيﷺ، وهب أنه ينزه اللهَ أو يجعلُ رسولَه ﷺ بهذا النحو، إلا أنه يخالف واقع التحدي الدائم، والعجز المطَّرِد من كل من خاطبهم القرآن بالتحدي[1] .

ويقول الرافعي[2] "إن القرآن معجز بالمعنى الذي يفهم من لفظ

---

(١) عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: "ما من الأنبياء نبي إلا أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر وإنما كان الذي أوتيته وحياً أو حاه الله إليّ فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة " .

(٢) تاريخ آداب العرب ٢ / ١٥٦ الناشر دار الكتاب العربي بيروت – لبنان، الطبعة الرابعة ١٣٩٤هـ، ١٩٧٤م .

الإعجاز على إطلاقه حين يُنْفَى الإمكان بالعجز عن غير الممكن " .

وحين انتفى إمكان العرب بعجزهم عن الإتيان بمثله بل عجز كل الإنس ومعهم الجن عن ذلك، حينئذ تفهم معنى إعجاز القرآن الكريم على إطلاقه.

ولا يقال: عجز فلان إلا بعد سبق، فالعرب كان لهم السبق، لم تعجزهم أمة في الإعراب والبيان، ولما نزل القرآن سبقهم . وهذا شأن الخلق دائما فإنه ليس لأحد منهم أن ينفرد بوصف ذاتي أبداً، والعرب أسبق الأمم وأبينهم فيما يعربون فلابد أن لا يكون لهم هذا التفرد، لأنه لا يتوحد بوصف إلا الواحد تعالى، فكان القرآن المقدم وصار اللسان الأقوم والأبين من العرب في الدرجة الثانية، وبعد أن كانوا في الصدارة صاروا في عربيتهم وبيانهم في تاليها.

وحق للقرآن أن يكون عربيا ما دامت العربية في درجة اللغات هي الأولى، ومع هذا تبوأ القرآن المنزلة الأولى من هذه اللغة العظمى.

وفي "النكت في إعجاز القرآن" لأبي الحسن علي بن عيسى الرماني (٢٩٦هـ-٣٨٦هـ) اعتراض افترضه الشيخ ورد عليه إذ يقول[١]: "فإن قال قائل: فلم اعتمدتم على الاحتجاج بعجز العرب دون المولدين

---

(١) ذخائر العرب ١٦ ثلاث رسائل في إعجاز القرآن للرماني والخطابي وعبد القادر الجرجاني حققها وعلق عليها محمد خلف الله أحمد ودكتور محمد زغلول سلام ط دار المعارف الطبعة الرابعة ص ١١٣ .

وهو عندكم معجز للجميع، مع أنه يوجد للمولدين من الكلام البليغ شيء كثير ؟ .

قيل: لأن العرب كانت تقيم الأوزان والإعراب بالطباع، وليس في المولدين من يقيم الإعراب بالطباع كما يقيم الأوزان، والعرب على البلاغة أقدر لما بَيَّنَّا[1] من فطنتهم لما لا يَفْطن له المولدون من إقامة الإعراب بالطباع، فإذا عجزوا عن ذلك فالمولدون عنه أعجز" .

والجرجاني في رسالته الشافية[2] يفضي بباب من التلبيس يدور في أنفس قوم من الأشقياء يستهوون به وعي الغِرِّ الغَبِي بذكره، وهو قولهم: قد جرت العادة بأن يبقى في الزمان من يفوت أهله حتى يسلموا له، وحتى لا يطمع أحد في مداناته، وحتى يقع الإجماع فيه أنه الفرد الذي لا ينازع، ثم يذكرون امرأ القيس وربما ذكروا الجاحظ.

وهم يريدون بذلك أن القرآن معجز لا لأنه كلام الله، بل لمزية كانت للنبيﷺ في كلامه دون غيره من أرباب الفصاحة فاق بها الفصحاء والبلغاء .

ولكن الجرجاني ذكر شرطاً للمزية والتفرد وهو أن المزية الناقضة للعادة يبلغ الأمر فيها إلى حيث يبهر ويقهر، حتى تنقطع الأطماع عن المعارضة، وتخرس الألسن عن دعوى المداناة، وحتى لا تحدِّثَ نفسٌ

---

(١) المرجع السابق ص ١١١ حيث تكلم على نقض العادة وجهاً من وجوه الإعجاز .

(٢) الرسالة الشافية للجرجاني ثلاث رسائل في الإعجاز ص ١٢٨، ١٢٩ .

صاحبها بأن يَتَحَدَّى، ولا يَجُول في خلَدٍ أن الإتيان بمثلها يمكن، وحتى يكون يَأْسُهُم منه وإِحساسهم بالعجز عنه في بعضه مثل ذلك في كله.

ثم يقول الجرجاني نافياً أن يكون لأحد كائنا من كان كلُّ هذا: "وليت شعري من هذا الذي سَلَّم لهم أنه كان في وقت من الأوقات من بلغ أمرُه في المزية وفى العلو على أهل زمانه هذا المبلغَ وانتهى إلى هذا الحد".

ثم ساق القصة الشهيرة بين امرئ القيس وعلقمةَ الفحلِ والتي كان فيها الحكم بين الشاعرين أُمَّ جندب امْرأةَ امرئ القيس والتي فضلت علقمةَ في الشعر على زوجها.

وأردف الرجل برهاناً بعد آخر إبطالاً لهذا القول، ومن براهينه أن للشعراء طبقات، وبَيّنَ أنهم في كل طبقة منها أكفاء نظراء. ولم ينفرد واحد بمزية تخصه، فسقطت بذلك مقولة المزية.

هل العجز هو الإفحام؟

يقول الشيخ محمد عبده [1]: "يقول واهم إن الإعجاز حجة على من عَجَزَ فإن العجز هو حجةُ الإفحام وإلزامُ الخصم، وقد يلتزم الخصم ببعض المسَلَّمَات عنده فَيُفْحَم ويعجز عن الجواب فتلزمه الحجة، ولكن ليس ذلك بملزم لغيره، فمن الممكن أن لا يُسَلِّم غيرُه بما سلمه، فلا

---

(١) رسالة التوحيد للإمام محمد عبده ص ١٢٧ - دار إحياء العلوم بيروت، ط ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م.

يُفْحِمُه الدليلُ، بل يجد إلى إبطاله أقرب سبيل" .

ويرد الشيخ بقوله: "وهو وهم بما قدمنا من البيان إذ لا يوجد من المشابهة بين إعجاز القرآن وإفحام الدليل، إلا أنه يوجد عن كل منهما وجه عجز، وشتَّان بين العجْزَين، وبُعْد ما بين وِجْهتَي الاستدلال فيهما، فإن إعجاز القرآن برهن على أمر واقعي، وهو تقاصر البشرية دون مكانته من البلاغة" .

وأضيفُ: إنه إذا كان الإفحام يتصور إبطاله من أحد غير العاجز أو من نفسه هو في وقت لاحق، فهل أبطل الإعجاز على مَدِّ زمن التحدي من القرآن للثقلين أي أحد؟ .

وبعد إيراد كل هذا في مضمار بيان المعجزة والإعجاز نخلص إلى أن المعجز هو:

أمر خارق للعادة مقرونا بالتحدي يظهره الله على يد مدعي النبوة تصديقا لدعواه .

وإذا كان باب الدخول إلى صلب الموضوع قد أخذ من علمائنا هذه العناية بإحكام الشروع والبيان عند إرادة التفاصيل، فإن هذا ينم عن غاية تغياها هؤلاء، وهي سد أبواب التنطع في وجه كل لئيم دائر النظر، بحثا عن مطعن يقدح من خلاله في أجَلِّ كلام عرفَتْه البشرية وهو كلام الله تعالى .

لقد أدام علماؤنا افتراضاتِ الرافضين لكون القرآن كلامَ الله، فأداروا

في رؤوسهم كل رد لتخرس الألسنة عن تقليب ما جال في الخواطر الفاسدة الناشئة من رداءة أصل التوجه، وما أفاد العلماء من مثل هذا إلا شرفَ عنايتهم وغايتِهم من هذا، فالقرآن قد استبقى لنفسه دفُوعاً شتى، يواجِهُ بها في كل جيل ما جلَّ من خطبه وخطره في سبيل النيل من القرآن ودرجته العليا.

الفصل الأول
العناية بوجوه الإعجاز

يستلزم بيان وجوه الإعجاز جلاءَ الأساس الذي بني عليه وجودُ الكلام في الإعجاز، فإن القرآن في جملته معجزة على وجه الحقيقة، ولا يمكن لأحد أبدا مهما أوتي من علم أن يذكر السبب الذي أعجز أفذاذ العرب عن أن يأتوا بمثله، فإنه قد امتد إلى نفوسهم، فانطبع في نفس أحدهم منه حلاوة، وفى نفس الآخر خوف، مع عدم إيمانهم به، بل كانوا يسترقون سماعه خُفْيَةً، وما حمَلَهم عداؤهم على أن يجابهوا هذا الذي أخزاهم وأقعدهم دون منازلهم وسفه أحلامهم . لا يمكن لأحد أبداً أن يكون قد اطَّلَع على أحوال قلوبهم حين استمعوا القرآن، ثم تكشَّف له أن الوجه الذي أعجزهم كيت وكيت، أو أن الله صرفهم عن ذلك، بل تقوم الأدلة على أنهم ما تركوا المعارضة إلا عجزاً من عند أنفسهم، وذلك لأن القرآن قد نقض عادتهم في الكلام والإعراب والبيان ووجدوا فيه عُلُوَّ ما لَمْ يُعْهَد، ومن أنكر الإعجاز ما أضر بغير نفسه، وظل القرآن يرمي إلى كل جيل إعجازاً بعد إعجاز.

ولذلك ينقسم هذا الفصل إلى مبحثين :

الأول: الدوافع التي أدت إلى التصنيف في الإعجاز.

الثاني: يبين ما يتوقف عليه القول بوجه من الإعجاز.

المبحث الأول: دواعي بيان الإعجاز:

اتخذ مظهر الولاء لهذا الدين والدفاع عن كتابه صورتين: دَفْع بالسنان ودفاع باللسان . فمن ادعى النبوة كمسيلمة لاقى في حروب الردة ما لاقى، ومن اعتلاه شيطانه واعترته وساوسه وطعن في القرآن، أصابه ما أصاب سلفه، أو أرغمت الحجة أنفه.

وفى صدر الإسلام كان الطبع العربي لم يزل على سلامة سليقته في الإعراب، إذ لم يكن بحاجة إلى وسائل يُتَفَهَّمُ بها القرآن الكريم، وكان الصحابة رضوان الله عليهم يدركون معانيَ الألفاظ وما وراءها بفطرتهم العربية الأصيلة، فإذا أشكل عليهم شيء من وراء ذلك سألوا عنه رسول الله ﷺ .

ثم كانت رقعة حياتهم ضيقة لا تزخر أو تتزاحم فيها التقاليد والأفكار والمشكلات الطارئة فكانت معارفهم في أذهانهم، وكان مرجعهم فيها رسول الله ﷺ، ثم كبار الصحابة مِنْ بَعْدِه، فلم يكن عندهم شيء مما أطلق عليه فيما بعد اسمُ "علوم القرآن"(١).

ومع أن العرب بصحة عربيتهم قد أدركوا إعجاز القرآن في نفوسهم، سواء منهم من آمن ومن لم يؤمن، إلا أن مادة "ع، ج، ز" لم ترد بهذا المعنى، بل اشتهرت لدى المسلمين ألفاظ أخرى كالآية والبرهان والسلطان(٢).

---

(١) من روائع القرآن ص ٦٦ .

(٢) فكرة إعجاز القرآن ص ٨.

مع هذا لم يَخْلُ القرن الأول من تعبيرات مفادها أن للقرآن من غلبة اللسان وسلطان البيان ما ليس لغيره من سائر الكلام .

وخرج المسلمون على غيرهم بنور الإيمان فاتحين، فانفتحوا هم في المقابل على ما كان لدى الأمم من علوم، فسيطرت الفلسفة على عقول بعض الناس، وربما اتجه المتفلسفون إلى الفكرة لا لأصالتها أو صِلَتِها بالحق ولكن لغرابتها، لا رغبة في تحقيق الحق وإبطال الباطل، ولكن للترف العقلي، لا يفرقون بين أمر يتصل بالإيمان وأمر لا صلة له بالإيمان .

ومن جملة ما اطلع عليه بعض المتفلسفين من المسلمين أقوالُ البراهمة في كتابهم "الفَيْدَا"[1] وهو يشتمل على مجموعة أشعار ليس في كلام الناس ما يماثلها في زعمهم .

ويقول جمهور علمائهم : إن البشر يعجزون عن أن يأتوا بمثلها، لأن "براهما" صرفهم عن أن يأتوا بمثلها .

وحكى الإمام محمد أبو زهرة ما أورده أبو الريحان البيروني[2] في كتابه "ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة" ما نصه :

"إن خاصتهم يقولون إن في مقدورهم أن يأتوا بأمثالها، ولكنهم ممنوعون من ذلك احتراما لها" وعقب الشيخ أبو زهرة بقوله : "ولم يبين

---

(١) المعجزة الكبرى القرآن للإمام محمد أبي زهرة ط دار الفكر العربي ص ٧٦ .

(٢) توفي سنة ٤٣٠هـ.

البيروني وجه المنع أهو منع تكليفي يسبقه الإيمان بهذه الكتب، وتكون دلائل وجوب الإيمان من نواح أخرى، أم هو منع تكويني" بمعنى أن براهما صرفهم بمقتضى التكوين من أن يأتوا بمثلها. أي أنه جعل خَلْقَهُمْ وتَكوينهم على نحوٍ لا يستطيعون معه الإتيان بمثلها.

ورجح الشيخ الوجه الأخير بناء على أنه المتفِق مع قَوْلِ جمهور علمائهم، وما اشتهر من أن القول بالصرفة نبع في واديهم.

ودخلت الأفكار الهندية في عهد المنصور أبي جعفر[1] فتلقفها المحبون لكل وافد من الفكر، ركوناً إلى الاستغراب في أقوالهم فدفعتهم الفلسفة إلى اعتناق ذلك القول، وطبقوه على القرآن وإن كان لا ينطبق. فقال قائلهم: إن العرب إذ عجزوا عن أن يأتوا بمثل القرآن ما كان عجزهم لأمر ذاتي من ألفاظه ومعانيه ونسجه ونظمه،بل كان لأن الله صرفهم عن أن يأتوا بمثله[2].

ولم يُسَمِّ الشيخُ أحداً ممن قال بهذه المقولَةِ قبلَ النظام ولكنه أبرز مَرْمَى رَوَاجِ هذه الفكرة وجعل مؤداها إلى أمرين[3]:

أولهما: أن القرآن ليس في درجة تمنع محاكاته، وليس الإعجاز من صفاته الذاتية.

---

(١) ثاني الخلفاء العباسيين توفي سنة ١٥٦هـ.

(٢) المعجزة الكبرى القرآن لأبي زهرة ص ٧٦.

(٣) المرجع السابق ص ٧٦، ٧٧.

ثانيهما: الحكم على القرآن بأنه ككلام الناس.

لكن الرافعيَّ في كتابه " تاريخ آداب العرب "[1] يقول: " كان أول ما ظهر من الكلام في القرآن، مقالة تُعْزَى إلى رجل يهودي يُسَمى لبيد بن الأعصم فكان يقول: إن التوراة مخلوقةٌ فالقرآن كذلك، ثم أخذها عنه طالوتُ ابن أخته وأشاعها، فقال بها بنان بن سمعان الذي تنسب إليه البنانية، وتلقاها عنه الجَعْدُ بن درهم "مؤدب مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية" وكان زنديقا فاحش الرأي واللسان. وهو أول من صرح بالإنكار على القرآن والرد عليه وجحد أشياءَ مما فيه، وأضاف إلى القول بخلقه أن فصاحتَه غيرُ معجزة، وأن الناس يقدرون على مثلها وعلى أحسن منها. ولم يقل بذلك أحد قبله، ولا فشت المقالة بخلق القرآن إلا مِنْ بعده.

وإذا كان الجعد بن درهم أولَ من صرح بالقول بخلق القرآن وبأنه غير معجز، فإن أول من جَهَرَ بالقول بالصرفة من المتكلمين المعتزلة، أبو إسحاق إبراهيم بن سيار بن هاني النظام (ت ٢٣١هـ). خلط كلام الفلاسفة بكلام المعتزلة وانفرد أصحابه بمسائل: منها قوله في إعجاز القرآن أنه من حيث الإخبار عن الأمور الماضية والآتية، ومن جهة صرف الدواعي عن المعارضة، ومَنْع العرب عن الاهتمام به جبراً وتعجيزاً، حتى لو خلاهم لكانوا قادرين على أن يأتوا بسورة من مثله بلاغة

(١) تاريخ آداب العرب للرافعي ٢/ ١٤٣ .

وفصاحة ونظما[1] .

وهذان هما الدافعان اللذان أثارا حفائظ المؤمنين غيرة على الحق، أما أبان بن سمعان والجعد بن درهم فقد قتلهما خالد بن عبد الله القسري المتوفى (سنة ١٢٦هـ) رحمه الله وجزاه خيراً .

وأما النظَّام فإن تلميذه الجاحظ لم ينتظم في سلك طائفته بل خرج عليه راميا نحوه بسهام ما أصاب من علم وآداب عربية، فمع اعتزاله لم يقف من الحق موقف المتخاذل فآثر حرمة الحق على حرمة الشيخ، فكان أول من دفع القول بالصرفة بالإعجاز الذاتي للقرآن الكريم .

لم يوافق التلميذُ أستاذَه، وإذا كان النظام قد اشتهر بالبيان وسرعة الجواب ولسن القول فقد اشتهر الجاحظ (ت ٢٥٥ هـ) بأنه ذواق الكلام وَصَيْرَفِيُّ البيان. فإن خَالَفَ من يتسرع في الخبر ويبني عليه، فهي مخالفة الخبير العارف بتصريف القول وأفانين التعبير والتفكير .

ولم يكن رد الجاحظ على شيخه ردَّ المجادل، ولكنه كان بالعمل، فقد كان أول من كتب في إعجاز القرآن من الناحية البيانية ليكون الردُّ على الصرفة ببيان الإعجاز الذاتي[2].

وفي كتاب "المعتزلة" يقول مؤلفه زهدي حسن جاد الله: "وقد رد

---

(١) موسوعة الملل والنحل للشهرستاني ص ٢٤، ٢٥ بالطبعة الأولى سنة ١٩٨١م الناشر مؤسسة ناصر للثقافة – تاريخ آداب العرب للرافعي ٢ / ١٤٤ .

(٢) المعجزة الكبرى لأبي زهرة ص ٧٨ .

الخياط على هذا القول الذي كان ابن الراوندي أول من نسبه إلى النظام وقال إن النظامَ كان يقر بإعجاز القرآن نظما وإخباراً" [1].

ومن كل ما سبق يمكن القول إن الصرفة لم تكن مذهبا يعتقده أحد من المسلمين مع شهرة وذيوع نسبتها إلى النظام الذي شهد له صاحب الانتصار بأنه كان يقر بإعجاز القرآن نظما وإخباراً، وما كان القول بالصرفة ونسبتها إلى أحد المسلمين ليكون لولا ضغائنُ الكائدين وأحقادهم للإسلام ولكتابه .

وهَبْنَا نجد في بطون الكتب ردوداً على مثل هذا القول، إلا أن هذه الردود وحدها لا تُثْبِت صحةَ نسبةِ الصرفة إلى قائلها، لأن دافعاً كالغيرة على القرآن لا يترك مستجمعاً لأدلة الاستيثاق من صحة صدور هذا القول عن صاحبه قبل المواجهة دون أن تبعثه على الرد بأقصى ما يمكن من السرعة على ما يمس الإسلام في أصل تشريعه وهو القرآن .

ولم يَخْلُ زمننا هذا -مَعَ تباعُدِ ما بينه وبين عصر بزوغ فكرة الصرفة- من أن ينبري مَنِ اطلع عليها بالرفض، والنقض لها، والرد عليها، ونقدها مما يسمح بالقول : إنه قد يكون اتهام النظام مبنياً في أصله على ما أشيع عنه بالقول بها، وقد يكون منها براء.

ولا خلاف في أن إثم القول بالصرفة -على اعتبارها طعناً في ذاتية

---

(١) المعتزلة لزهدي حسن جاد الله ص ٢٩ -نقلاً عن الانتصار ص ٢٧، ٢٨- منشورات النادي العربي في يافا، ط القاهرة ١٣٦٦هـ - ١٩٤٧م مطبعة مصر.

الإعجاز القرآني- يقع على أول قائل بها سواء كان هو النظام أو من نسبها إلى النظام، بل على البادئ وزر من قال بها بعده، إذا كان قوله مؤسَّساً على مشايَعَةِ أول قائل بها، والارتضاءِ بها وجهاً للإعجاز.

ولكن متى اتخذ الكلام في الإعجاز الصورة العلمية المنظمة؟

في أواخر القرن الثاني وأوائل الثالث بدأ الكلام في الإعجاز بصورة علمية منظمة، ففي هذا العصر ظهرت أكثرُ النظريات الرئيسة في الإعجاز، صادرة عن المتفلسفين والمعتزلة والمتكلمين، وكثر الكلام في الدين والنبوة وبُحِثَ الإعجاز على أنه فرع لهما .

وشاهَدَتْ هذه الحِقْبَةُ ظهورَ منكرِي الإعجاز كابن الراوندي أبي الحسين أحمد بن يحيى (ت ٢٩٨هـ) الذي بسط لسانه في مناقضة الشريعة وإنكاره إعجاز القرآن في كتابه " الفريد " وقيل : إنه عارض القرآن في كتاب سماه " التاج"[١] ومن كتبه "الزمردة " و " قضيب الذهب "، و" المرجان "، و "البصيرة " .

وانبرى كثيرون للرد عليه[٢] في لاحق الزمن، ومع أن المعري أبا العلاء (ت ٤٤٩هـ) قد تولى الرد عليه، إلا أنه لم يسلم هو من الاتهام بمعارضة القرآن في كتابه المسمى "الفصول والغايات في مجاراة السور والآيات" على أن المعريَّ قد أثبت الإعجاز للقرآن فيما أنكر من رسالته على ابن الراوندي[٣] بل الناظر في الفصول لا يجد فيه شيئاً من هذا.

(١) تاريخ آداب العرب ٢ / ١٨٢.

(٢) تاريخ آداب العرب ٢ / ١٨٣.

(٣) تاريخ آداب العرب ٢ / ١٣٦ .

وكما لم يسلم المعري لم يسلم من قَبْلِه الجاحظُ، فهو وإن كان رأيهُ في الإعجاز كرأي أهل العربية[1] ، فقد سرد في كتابه " الحيوان" طائفة من أنواع العجز إلا أنه لم يسلم من القول بالصرفة فرد أنواع العجز في العلة إلى أن الله صرف أوهام الناس عنها ورفع ذلك القصد من صدورهم، ثم عد منها : « ما رَفَعَ من أوهام العرب وصرف نفوسهم عن المعارضة لقرآنه بعد أن تحداهم الرسول ﷺ بنظمه »[2].

وظهر أول كتاب في الكلام لمؤلفه علي بن ربن الطبري في خلافة المتوكل (٢٣٢ – ٢٤٧هـ) فظهرت مسألة الأسلوب مبكرة في إعجاز القرآن ظهوراً واضحاً في كتابه " الدين والدولة " الذي يرى فيه أن الوجه المعجز في القرآن هو هدفه الإصلاحي، وتحقيقه هذا الهدف، وأوامره ونواهيه، وإخباره عن الجنة والنار،وأسلوبه الطلي الرائع برغم أمية النبي محمد ﷺ[3].

بيد أن أول كتاب وضع لشرح الإعجاز وبسط القول فيه على طريقتهم في التأليف إنما هو كتاب " إعجاز القرآن " لأبي عبد الله محمد بن يزيد الواسطي المتوفى (سنة ٣٠٦هـ) وهو كتاب شرحه عبد القادر الجرجاني شرحاً كبيراً سماه المعتضد، وشرحاً آخر أصغر منه[4].

---

(١) الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ٢ / ١٠٠٤ .

(٢) تاريخ آداب العرب للرافعي ٢ / ١٤٧ بتصرف .

(٣) فكرة إعجاز القرآن للأستاذ نعيم الحمصي صـ٥٧ طـ٢ مؤسسة الرسالة وذكر المؤلف في ص ٧ لهذا الطبري كتاب " الأسلوب والبلاغة " وأن هذا الكتاب لم ترد فيه مادة عجز.

(٤) تاريخ آداب العرب ٢ / ١٥٢ الرافعي .

ويرجح الرافعي كون الواسطي بنى على ما ابتدأه الجاحظ كما بنى عبد القادر في (دلائل الإعجاز) على الواسطي .

ثم وضع المعتزلي أبو الحسن علي بن عيسى الرماني[١] . المتوفى سنة ٣٨٦ هـ كتابه " النكت في إعجاز القرآن " فرفع بذلك درجة ثالثة .

وجاء القاضي أبو بكر الباقلاني المتوفى سنة ٤٠٣ هـ فوضع كتابه "إعجاز القرآن " الذي أجمع المتأخرون من بعده على أنه باب في الإعجاز على حدة [٢] والغريب أنه لم يذكر فيه كتاب الواسطي ولا كتاب الرماني، ولا كتاب الخطابي الذي كان يعاصره، وأومأ إلى كتاب الجاحظ بكلمتين لا خير فيهما[٣] .

والخطابي الأديب اللغوي المحدث أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم البستي، ولد في رجب (سنة ٣١٩هـ) وتوفي في (سنة ٣٨٨هـ) ألف كتابه بيان "إعجاز القرآن" فأفاد فيه وأجاد . وكما لم يذكره الباقلاني لم يذكر هو كذلك من سبقه ولا من عاصره[٤] .

ومن هذا الذي سبق نجد أن العقول قد يخصبها التضاد، فلولا ما نجم من فكر أعور جرى على ألسنة أصحابه قول بعضهم بالصرفة، وقولُ البعض الآخر بنفي الإعجاز عن القرآن، لما هَمَتْ على أرض

---

(١) ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ص ١٠ .

(٢) من يطالع الكتاب يجده خير شاهد على صحة هذا الإجماع على ما أجمع .

(٣) تاريخ آداب العرب ٢ / ١٥٢ .

(٤) ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ص ٨ ، ٩ .

القلوب المؤمنةِ بواعثُ التوجه نحو الإعجاز وبيانِه، وحجاج النافين له.

لذلك أسفرت هذه المعركة عن أمرين هما مظهران للعناية بوجوه إعجاز القرآن الكريم:

أولهما: أن هذه الكتب التي ألفت لم تدع الإعجاز الذاتي ولا قسيمه دون أن تأخذ من كلٍ بطرف . فحين يعرض بعضها للصرفة وجهاً يراه البعض، نرى وابلاً من الحُجَج الدامغة ينصب فوق الفكرة والقائلين بها ممن لم يعتبرها وجه إعجاز.

ثانيهما: أن هذه الكتب كانت فاتحةً لعلوم البلاغة، ليتسنى لمن لم يكن في عصر القرائح العربية الأصيلة أن ينظر من خلال معارفه البلاغية إلى وجه الإعجاز الذاتي للقرآن الكريم، وهو ما أظل الحِقَبَ المتعاقبةَ على الأمة.

المبحث الثاني: أسس استنباط وجوه الإعجاز وقواعده:

عرّف علماء الكلام المعجزةَ بأنها "أمر خارق للعادة مقرون بالتحدي سالم من المعارضة" وناقشوا مدلولها كثيراً، وعالجوا شروطها طويلاً، لكن نكتفي بما ذكره القرطبي المفسر في كتابه "الجامع لأحكام القرآن"(١) من شروطٍ لا يصح من دونها الحادث أن يسمى معجزةً وهي:

١- هذا الحادث ينبغي أن يكون مما لا يستطيعه إلا الله.

٢- أن يخرج على قوانين الطبيعة.

٣- ينبغي أن ينبئ عنه الحكيم قبل أن يقع بأن كذا وكذا سيحصل.

٤- ويجب أن يكون الحادث الواقع موافقاً لما قال مِنْ قبل.

٥- وألا يكون في استطاعة أحد أن يجري مثل هذا الأمر.

هذه هي شروط المعجزة، ولننظر ماذا كان منها متحققاً عندما تلقى العرب القرآن عند أول نزوله. ذلك أنهم دهشوا بما غالبهم عليه القرآن من البيان، وعجزوا مع تحديه لهم مع آياته أو سوره الأولى أن يأتوا بمثله.

عجزوا، ولم يستطع أحد أبداً استبانة أسباب عجزهم مع براعتهم البيانية وقدرتهم الفائقة على الإعراب والبيان المتوارث في الطباع.

لم يقدر أحد على معارضة القرآن، وكانت المجالدة بآلات الحرب أهونَ عليهم من مجادلة القرآن. فلما عجزوا عن معارضته والإتيان

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١/ ٦٩-٧١.

بسورة تشبهه على كثرة الخطباء والبلغاء نادى عليهم بإظهار العجز وإعجاز القرآن لهم فقال: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ ... ﴾ وعاندوا واستهزؤوا فقالوا سحر، وقالوا: شعر، وقالوا: أساطير الأولين، وما كل هذا إلا من التحير، شأن كل عجيب خارق للعادة. حتى قال الوليد بن المغيرة: حين قال له أبو جهل: يا عم إن قومك يريدون أن يجمعوا لك مالاً ليعطوكه، فإنك أتيت محمداً لتعرض لما قِبَلَه –لما عنده من مال– قال الوليد: قد علمت قريش أني أكثرهم مالا، قال: فقل قولاً يبلغ قومك أنك كاره له، قال وماذا أقول؟ فوالله ما فيكم رجل أعلم بالشعر مني، ولا برجزه، ولا بقصيده، ولا بأشعار الجن، والله ما يشبه الذي يقول شيئاً من هذا، ووالله إن لقوله الذي يقول لحلاوة وإن عليه لطلاوة، وإنه لمثمر أعلاه، مغدق أسفله، وإنه ليعلو ولا يعلى عليه، وإنه ليحطم ما تحته، قال: (أي أبو جهل) لن يرضى عنك قومك حتى تقول فيه، قال: دعني حتى أفكر. فلما فكر قال: هذا سحر يؤثر، يأثره عن غيره (أي ينقله عن غيره)[1].

وعجز العرب ولم يتبين أحد وجه عجزهم، ولكنهم عجزوا، وراح كل أحد يضرب في آفاق الفهوم عله يلتقط تعليلاً لهذا الإعجاز المحيط بالقرآن، ولو كان معجزة حسية لاستراحت النفوس بما تدركه بإحدى

---

(١) مستدرك الحاكم: التفسير – تفسير سورة المدثر ٢/٥٠٦.

الحواس، ولكنه معجزة لا تشاهد بغير البصيرة، فما كان للأبصار فصورته واحدة في وقت واحد، وما كان للبصائر فإن تصوراته تنتظم منه صورا عديدة تكثر بكثرة المهتمين بوجوه الإعجاز، فكل وجه عند صاحبه مقبولٌ، لأنه ما قال إلا ما رأى، ولكن هل يؤخذ بقوله أو لا ؟ هذا ما سيشار إليه قريباً إن شاء الله.

وكان لابد من أساس أَوْ جِهَةٍ ينظر من خلالها منفذاً تُرَى منه ملاحة وجوه الإعجاز، وخاض الناس في ذلك كثيراً. فبين مسيء ومحسن. على النحو التالي:

١- عجز البعض عن إدراك الإعجاز في القرآن الدال على الكلام القديم لله تعالى، فزعموا أن التحدي وقع بالكلام القديم الذي هو صفة الذات[١] والصواب ما قاله الجمهور: أنه وقع بالدال على القديم وهو الألفاظ.

٢- ثم زعم النظام -كما قيل عنه- أن إعجازه بالصرفة، أي أن الله صرف العرب عن معارضته، وسلب عقولهم، وكان مقدوراً لهم، لكن عاقهم أمر خارجي، فصار كسائر المعجزات[٢].

قلت: أي كسائر المعجزات الحسية، بأن العرب منعوا مما اعتادوا وسنضرب صفحاً عن مناقشة هذا القول إلى حينه. ولكن ما الأساس الذي بنى عليه هذا القول النظامي غير ما قيل من أنه اكتسبه من المقولة الهندية السابق ذكرها؟

---

(١) الفصل ٣/١٥، الإتقان ٢/١٠٠٥.

(٢) الإتقان ٢/١٠٠٥، بيان إعجاز القرآن ص ٢٢ ثلاث رسائل في إعجاز القرآن.

يقول أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني (ت ٤٧١هـ) في "رسالته الشافية في إعجاز القرآن": "اعلم أن الذي يقع في الظن من حديث القول بالصرفة أن يكون الذي ابتدأ القول بها ابتدأه على توهم (أن التحدي كان إلى أن يُعَبِّرَ عن أنفس معاني القرآن بمثل لفظه ونظمه، دون أن يكون قد أُطْلِق لهم وخُيروا في المعاني كلِّها)، ذاك لأن في القول بها على غير هذا الوجه أموراً شنيعة، يبعد أن يرتكبها العاقل ويدخل فيها.

ذاك أنه يلزم عليه -أي على القول بالصرفة على غير الوجه الذي ذكره الجرجاني- أن يكون العرب قد تراجعت حالها في البلاغة والبيان، وأنهم قد اعتراهم العجز وخذلتهم القُوى، فإنهم إن قيل بتحول شأنهم من القدرة إلى الضعف لم نُقِمْ عليهم حجة، بل استحال عليهم أن يعلموا أن لنظم القرآن فَضْلاً على كلامهم الذي يسمع منهم، وعلى النظم الظاهر الباقي لهم ـ ذاك أن عذر القائل بالصرفة أن كلامهم قبل أن تحدوا قد كان مثل نظم القرآن، وموازياً له وفي مبلغه من الفصاحة.

وإذا كان الأمر كذلك وقد صرفوا فإنه لا يتصور أن يحاولوا، وإذ لم يحاولوا لم يحسوا بالعجز.

بل يلزم أن ينسحب حكم القائلين بنقص العرب في بلاغتهم وبيانهم على بلاغة النبيﷺ وبيانه، وأن تكون النبوة قد أوجبت أن

يُمْنَع شطراً من بيانه، وإلا كان ﷺ قد تلا عليهم آية الإسراء[1] في حال هو يستطيع فيها أن يجيء بمثل القرآن الكريم. اللهم إلا أن يقولوا: إنه كان ﷺ في الأصل دونهم في الفصاحة وأن الفضل والمزية للعرب كانتا لبلغائهم دونه ولم يَشُك أحد بل تواترت الأخبار أنه ﷺ كان أفصح العرب"[2].

ثم قال الجرجاني: بأنه على القول بالصرفة يكون مرجع الإكبار والعجب إلى المنع الذي فيه الآية والبرهان لا إلى الممنوع منه وهو القرآن.

وحسب الجرجاني فضلاً أن لا يقبل الصرفة وجهاً للإعجاز، ولكن كونه بنى أساسَ وقوع القول بالصرفة على ظن أفضى به إلى فرض لم يكن، فإن العرب علموا أن لنظم القرآن فضلاً على كلامهم الذي يسمع منهم، ومعلوم أنه قد حاول بعضهم، ولكن باء بالخيبة والخذلان، وظلت المحاولات في القرون التالية كما قيل عن ابن الراوندي وعبد الله بن المقفع والمعري وغيرهم.

وما مَنْعُهُمْ عن مماثلة القرآن بمانع لهم من كلامهم الخاصِّ البليغ، ولا من عِلْمِ فضل القرآن على كلامهم، فليس على هذا الأساس -يقينا- بنى القول بالصرفة، فإن النفوس لا يعلم محتواها إلا الله.

---

(١) ﴿قل لئن اجتمعت...﴾ الآية، (الإسراء: ٨٨).

(٢) ثلاث رسائل في إعجاز القرآن - الرسالة الشافية ص ١٢٦ إلى ص ١٤٨ بتصرف.

٣- والذاهبون إلى أن إعجازه من جهة البلاغة في القول الذي اختص به القرآن وهم الأكثر من علماء النظر، يعلل منهم الخطابي هذا الوجه بقوله: "وقد استقرينا أوصافه[1] الخارجة عنه، وأسبابه الثابتة منه، فلم نجد شيئاً منها يثبت على النظر، أو يستقيم في القياس ويطرد في المعايير، فوجب أن يكون ذلك المعنى مطلوباً من ذاته، ومستقصى من جهة نفسه، فدل النظرُ وشاهدُ العبرِ على أن السببَ له والعلةَ فيه أن أجناسَ الكلام مختلفة، ومراتبها في نسبة التبيان متفاوتة، ودرجاتها في البلاغة متباينة غير متساوية، فمنها:

١- البليغ الرصين الجزل.

٢- ومنها الفصيح الغريب السهل.

٣- ومنها الجائز الطلق الرسل.

وهذه أقسام الكلام الفاضل المحمود دون النوع الهجين المذموم، الذي لا يوجد في القرآن شيء منه ألبتة.

فالقسم الأول أعلى الكلام وأرفَعُه، والقسم الثاني: أوسطه وأقصده، والقسم الثالث أدناه وأقربه.

---

(١) (لعذوبة الكلام في حس السامع والهشاشة في نفسه، وما يتحلى به من الرونق والبهجة التي يباين بها سائر الكلام حتى يكون له هذا الصنيع في القلوب والتأثير في النفوس فتصطلح من أجله الألسن على أنه كلام لا يشبهه كلام وتحصر الأقوالُ عن معارضته وتنقطع به الأطماع عنها، أمر لا بد له من سبب، بوجوده يجب له هذا الحكم، وبحصوله يستحق هذا الوصف) . ثلاث رسائل في الإعجاز بيان إعجاز القرآن للخطابي ص ٢٥، ٢٦ .

فحازت بلاغات القرآن من كل قسم من هذه الأقسام حصة، وأخذت من كل نوع من أنواعه شعبة، فانتظم لها بامتزاج هذه الأوصاف نمط من الكلام يجمع صفتي الفخامة والعذوبة، وهما على الانفراد في نعوتهما كالمتضادين. لأن العذوبة، نتاج السهولة، والجزالةَ والمتانة في الكلام تعالجان نوعا من الوعورة.

فكان اجتماع الأمرين في نظمه مع نبو كل واحد منهما على الآخر فضيلة خص بها القرآن"[1].

ثم يضيف الخطابي بعد ذلك بقليل مقوماتِ الكلام أو أركانَه بقوله: "وإنما يقوم الكلام بهذه الأشياء الثلاثة : لفظ حامل، ومعنى قائم به، ورباط لهما ناظم، فالقرآن ألفاظه أفصح وأجزل وأعذب الألفاظ، ومعانيه تشهد لها العقول بالتقدم في أبوابها، والترقي إلى أعلى درجات الفضل من نعوتها وصفاتها،ولا ترى نظماً أحسنَ تأليفاً وأشدَّ تلاؤماً وتشاكلاً من نظمه.

ولا تجتمع هذه الفضائلُ الثلاثةُ في كلام واحد، بل على التفرق في أنواع الكلام، وجَمَعَهَا كلام واحد هو كلام الله"[2].

والسيوطي في إتقانه[3] يروي قولاً للأصبهاني في تفسيره نصه:

---

(١) بيان إعجاز القرآن للخطابي ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ص ٢٦ .

(٢) المرجع السابق ص ٢٧ بتصرف .

(٣) الإتقان ٢ / ١٠١٠.

"وبيان كون النظم معجزاً يتوقف على بيان نظم الكلام، ثم بيان أن هذا النظم مخالف لنظم ما عداه فنقول: مراتب تأليف الكلام خمس:

الأولى: ضم الحروف المبسوطة بعضها إلى بعض لتحصل الكلمات الثلاث: الاسم، والفعل، والحرف.

والثانية: تأليف هذه الكلمات بعضها إلى بعض لتحصيل الجمل المفيدة. وهو النوع الذي يتداوله الناس جميعاً في مخاطباتهم وقضاء حوائجهم. ويقال له المنثور من الكلام.

الثالثة: ضم بعض ذلك إلى بعض ضماً له مَبَادٍ ومقاطعُ، ومداخلُ ومخارجُ ويقال له: المنظوم.

الرابعة: أن يعتبر في أواخر الكلام مع ذلك تسجيع ويقال له المسجع.

الخامسة: أن يجعل له مع ذلك وزن ويقال له الشعر، والمنظوم: إما محاورة ويقال له الخطابة وإما مكاتبة ويقال له الرسالة.

فأنواع الكلام لا تخرج عن هذه الأقسام، ولكلٍ مِنْ ذلك نظمٌ مخصوص، والقرآن جامع لمحاسن الجميع على نظم غير نظم شيء منها.

يدل على ذلك أنه لا يصح أن يقال له: رسالة، أو خطابة، أو شعر، أو سجع كما يصح أن يقال هو كلام".

ولعل الخطابي قصد وصف الألفاظ وتعاطيها المعاني، والأصبهاني قسم الكلام وأنواعه، والاثنان لا يغني أحدهما عن الآخر.

والسكاكي في "مفتاح العلوم" يرى أن إعجاز القرآن يدرك، ولا يمكن وصفه، ولا يدرك تحصيله لغير ذوي الفطرة السليمة إلا بإتقان علمي المعاني والبيان والتمرين فيهما(١).

وعجائب القرآن في نظمه هي التي بعثت على التصنيف في علوم البلاغة بعد أن ذاق أصحاب الفطر السليمة جملا من حلاوة هذا الكتاب، فَقَعَّدوا لعلوم نظم الكلام قواعِدَهُ، يضاف إليها كلَّ حين ما يُفَصِّلُ مجملها، حتى صارت البلاغة بعلومها الثلاثة علماً قائماً بذاته على نحو ليس هذا مجال ذكره (٢).

هذا من حيث ما يتعلق باللفظ ومعناه القريب الدائر مع كل قارئ متدبر للقرآن الكريم . وفيه جميع آياتِ القرآن على سواء.

أما من حيث المعنى المستحدَث فهو الخاص بآيات معينة تمس وصفاً لظاهرة علمية كدلائل على قدرة الله تعالى، أو تحتمل وصفاً لظاهرة كونية.

ومثال الأولى: ما جاء في القرآن من آيات التقاء البحرين دون أن يبغي أحدهما على الآخر، وخروج اللؤلؤ والمرجان منهما، فهذا المعنى يدور في فهم كل قارئ للقرآن منذ نزوله وحتى قيام الساعة، وحين

---

(١) الإتقان ٢ / ١٠١١، ومفتاح العلوم ص ٥١٢، ٥١٣.

(٢) في قضية الإعجاز القرآني وأثرها في تدوين البلاغة العربية د. عبد العزيز عبد المعطي عرفة طبعة دار الكتب ط١، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م ذكر المؤلف أن خفاء المشبه به في قوله تعالى: ﴿ طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴾ (الصافات: ٦٥)، كان سبباً في تأليف كتاب مجاز القرآن لأبي عبيدة.

يقول الله في شأن البحرين: ﴿ ... وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا ... ﴾ (فاطر: ١٢) فإنه يقع عليها فهمان، فهم قريب: وهو أن الله يُظْهر مِنَّته على عباده إذ جعل لهم لحماً طرياً من البحرين، والفهم الأعمق: هو أن اللحم من البحر الملح ليس فيه ملح بل اللحمان مع اختلاف بيئتهما بينهما وصف جامع هو عدم الملوحة فيهما.

ومثال الثانية: الآيات التي نقل معناها القريب بالتأويل إلى تفسيرات للظواهر الكونية مُوافِقة للنظريات العلمية التي درج الأخذ بها في تفسير هذه الظواهر.

والنوع الأخير يتوقف الأخذ به على تفهم النظريات خارج ألفاظ القرآن، ثم يعمد أصحاب هذا الشأن إلى البحث في آيات القرآن عما يتفق وهذه النظريات من القرآن.

ومن هذا النوع حَمْلُ بعضِ الآيات على نبوءات قرآنية دون أن تصرح هذه الآيات بإخبار بغيب ماض أو مستقبل، ومبنى هذين النوعين التأويل المحتمل لبعض الآيات.

أما الإخبار عن الغيبيات مما انطوت عليه دون غيره من الألفاظ فهذا يعد في حكم المعنى القريب للألفاظ.

وراح آخرون يبحثون علاقات الآيات والسور، حتى وجدوا تناسباً يجعل القرآن ذا وحدة موضوعية، والبعض قصد إلى اللفظ من حيث كونه لفظاً مكرراً كالذي بنيت عليه وجوه الإعجاز العددي للقرآن

الكريم. سواء كان اللفظ مقابِلاً لآخر أو كان عدد الألفاظ مضاعفات لرقم معين. أو كان العدد لألفاظ آية أو جزء آية مقابِلاً لألفاظ آية أخرى أو جزئها أو الجزء الثاني للآية ذاتها.

هذا مجمل عناية المسلمين بوجوه الإعجاز من حيث ابتناء عنايتهم على الأسس التي سبقت الإشارة إليها مدفوعين إلى رعاية حق القرآن عليهم بالذود عن حماه من طغاة الفكر وغلاة المتعالمين الحمقى.

وسيأتي بيان مظاهِرَ من هذه العناية على نحو آخر في الصفحات التالية، والله تعالى هو الملهم للصواب، وهو ولي التوفيق.

الفصل الثاني
مظاهر العناية بوجوه الإعجاز

قد سبقت الإشارة إلى السبب الذي اقتضى توجه العلماء نحو البحث في وجوه إعجاز القرآن الكريم، وما كان اهتمامهم إلا بمنزلة الرد على هذه الآراء السخيفة التي تطعن في القرآن، فالقول بالصرفة لولاه لكان لنا اليوم كتب ممتعة في بلاغة القرآن وإعجازه اللغوي وما إلى ذلك[1] فوق ما هي عليه الآن، ولكنها إن كانت قد أوهنت في هذا عَزْماً فإنها أشعلت عزائم، سواء في الرد عليها، أو في بيان وجوه الإعجاز القرآني، وكان المخرج منها مدخلاً لعلوم كثيرة من القرآن الكريم أهمها البلاغة، وما اكتفى المسلمون بذلك بل كلما امتد الزمن برزت على سنيه ناطقاتٌ بوجوه إعجازٍ ما قِيلَتْ من قبل. فكانت وجوه ذاتية، وأخرى علمية، بل من مظاهر عناية المسلمين من تعد مؤلفاتهم تأريخاً لهذا الإعجاز.

لذا كانت مباحث هذا الفصل متناولة الرد على الوجوه المختلف فيها، ثم بيان وجوه الإعجاز الذاتي للقرآن وذلك على النحو التالي:

المبحث الأول: الصرفة والرد على القائلين بها:

وجوه الإعجاز تختلف في قبولها اختلافاً يقتضي تقسيمها إلى

---

(١) تاريخ آداب العرب ٢/ ١٤٦، إعجاز القرآن للرافعي.

وجوه مختلف فيها، ووجوه مجمع عليها، ووجوه مشروط قبولها. وبيان الثالث في الفصل الرابع إن شاء الله.

والصرفة منذ قال بها أو جاهر بإعلانها النظام المعتزلي كما نسبت إليه، يصوبه في القول بها قوم ويعارضه آخرون، ويرى البعض لها وجهاً غير ما قاله النظام من أنها صرف الله للعرب عن معارضة القرآن مع قدرتهم عليها.

وممن شايعه في القول بالصرفة –لكن على معنى آخر– الشريف المرتضى من الشيعة[1] (ت ٤٣٦هـ) الذي قال عنه الرافعي: إنه قال في معنى الصرفة: "إن الله سلبهم العلوم التي يُحتاج إليها في المعارضة ليجيئوا بمثل القرآن فكأنه يقول إنهم بلغاء يقدرون على مثل النظم والأساليب ولا يستطيعون ما وراء ذلك مما لبسته ألفاظ القرآن من معان، إذ لم يكونوا أهل علم ولا كان العلم في زمنهم" ورد الرافعي بقوله: "وهذا رأي بَيِّنُ الخلط".

نعم إنه خلط، إذ محاولة فهمه تصرفه عن معنى الصرفة التي سيق هو لبيانها.

وممن ذكر الصرفة الأصبهانيُّ في تفسيره[2] لكن ذكره على سبيل الحكاية ولذلك اشترَط الاعتبار بقوله: إذا اعتبر.

---

(١) تاريخ آداب العرب ٢ / ١٤٤، إعجاز القرآن للرافعي، وفكرة الإعجاز ص ٦٩.

(٢) الإتقان ٢ / ١٠٠٩، ١٠١٠.

وابن حزم الأندلسي (ت ٤٥٦هـ) الظاهري أحد القائلين بالصرفة في كتابه الفصل[١] مفسراً إياها بقوله: "لم يقل أحد من أهل الإسلام إن كلام غير الله تعالى معجز، لكن لما قاله الله تعالى وجعله كلاماً له أصاره معجزاً، ومَنَع مِنْ مماثلته، وهذا برهان كافٍ لا يحتاج إلى غيره والحمد لله".

وعقب الرافعي[٢] بقوله: "بل هو فوق الكفاية وأكثر من أن يكون كافياً، لأنه لما قاله ابن حزم وجعله رَأياً لَهُ أصاره كافياً لا يحتاج إلى غيره..! وهل يراد من إثبات الإعجاز للقرآن إلا إثبات أنه كلام الله تعالى". والخطابي بعد أن عد الصرفة مذهبَ قومٍ قال[٣]: "وليس ينظر في المعجزة إلى عظم حجم ما يأتي به النبي ﷺ ولا إلى فخامة منظره، وإنما تعتبر صحتها بأن تكون أمراً خارجاً عن مجاري العادات ناقضاً لها، فمهما كانت بهذا الوصف كانت آية دالة على صدق من جاء بها. وهذا أيضاً وجه قريب. -أي القول بالصرفة- إلا أن دلالة الآية تشهد بخلافه، وهي قوله تعالى: "﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ ... ﴾" (الإسراء: ٨٨) فأشار في ذلك إلى أمرٍ طريقُه التكلف والاجتهاد وسبيله التأهب والاحتشاد. والمعنى في الصرفة التي وصفوها لا يلائم هذه الصفة، فدل على أن المراد غيرها، والله أعلم".

---

(١) الفصل ٣/١٩.

(٢) تاريخ آداب العرب ٢/١٤٦.

(٣) ثلاث رسائل في الإعجاز ص ٢٢، ٢٣.

وترى الخطابي قد قرب وجه الصرفة بدءاً ثم أقصاه انتهاء، ثم انتهى إلى أن الوصف الذي حملوه على الصرفة لا يلائم الوصف الوارد في الآية من أنهم إن اجتمعوا واحتشدوا لا يأتون بمثله، لا إن افترقوا فدل على أن المراد من الآية غير ما ذهب إليه القائلون بالصرفة.

وعدّ العز بن عبد السلام الصرفة وجهين من وجوه الإعجاز[1] فأوردها على معنيين، **أولهما**: صرفهم عن القدرة على معارضته، **وثانيهما**: صرفهم عن معارضته مع قدرتهم عليها وحرصهم على إبطاله.

وأبو الحسن علي بن عيسى الرماني (٢٩٦- ٣٨٦هـ) قال في كتابه النكت: بعد سوق الصرفة كأحد وجوه الإعجاز: وهذا عندنا أحد وجوه الإعجاز التي يظهر منها للعقول "وهو أن الصرف عن المعارضة خارج عن العادة كخروج سائر المعجزات التي دلت على النبوة".

والقول بالصرفة يفسده ويدحضه قول الله تعالى " ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ...﴾" (الإسراء : ٨٨). ولا يجْهِزُ على وجهيه معا قوله تعالى حكاية عن أهل الفصاحة العربية أنهم قالوا: " ﴿... قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ...﴾" (الأنفال : ٣١). فإنه دل على عجزهم مع بقاء قدرتهم، ولو سلبوا القدرة لم يبق لهم فائدة لاجتماعهم، لمنزلته

(١) الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز، الناشر المكتبة العلمية بالمدينة المنورة ص٢٧١.

منزلة اجتماع الموتى[1] والإجماع منعقد على إضافة الإعجاز إلى القرآن، فكيف يكون معجزاً بلا اتصاف بإعجاز؟.

وإذا كانوا قد صرفوا أول زمان التحدي فهل يدوم هذا مع القرآن لدوام التحدي أو كان عند نزوله ؟، إن كان الأول، فقد أقدم البعض على قبول التحدي ولم تقم لكلامه قائمة إلا من حيث يذكر في الخاسرين المغلوبين، وإن كان زمان النزول فهو الآن خلو من الإعجاز، ومن الذي أتى بشيء من مثله فيما بعد العصر الأول ؟ لا أحد، والإجماع على عجز المعارضة له يشهد بأنه معجزة باقية.

ويقول القاضي أبو بكر الباقلاني[2]: "لو كان الإعجاز بالصرفة لكان المعجز المنع لا القرآن فلا يتضمن الكلام فضيلة على غيره في نفسه".

والرافعي يقول[3]: "وعلى الجملة فإن القول بالصرفة لا يختلف عن قول العرب فيه: "﴿ ... إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴾ (المدثر: ٢٤) وهذا زَعْمٌ ردَّه الله على أهله وأكذبهم فيه وجعل القولَ به ضَرْباً من العمى ﴿ أَفَسِحْرٌ هَٰذَا أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ﴾ (الطور: ١٥) فاعتبر ذلك بعضه ببعضه فهو كالشيء الواحد".

ويقول الجرجاني[4]: "إن من حق المنع إذا جُعِلَ آية وبرهاناً ولا سيما

(١) الإتقان ص ١٠٠٦.

(٢) إعجاز القرآن للباقلاني ص ٤٧ والإتقان للسيوطي ص ١٠٠٦.

(٣) تاريخ آداب العرب ٢ / ١٤٦.

(٤) الرسالة الشافية ثلاث رسائل في الإعجاز ص ١٥٣، ١٥٤.

للنبوة أن يكون في أظهر الأمور وأكثرها وجوداً وأسهلها على الناس وأخلقها بأن تُبِين لكل راءٍ وسامع أن قد كان مُنِع، لا أن يكون المنع من خفي لا يُعْرَف إلا بالنظر وإلا ببعد الفكر ومن هذا شيء لم يوجد قط، ولم يعهد، وإنما نظن ظناً أنه يجوز أن يكون وأنَّ له مدخلاً في الإمكان إذا اجتهد المجتهد.

ولو كانوا قد تغيرت حالهم وتبدل عِيُّهُم بالبلاغة والبيان لعلموا ذلك من أنفسهم، ولقابلوا التحدي بقولهم للنبي ﷺ كيف نُمْنَع ثم يكون التحدي على حالنا".

ولم يملك أحد معرفة كيف عجزوا، لكنهم عجزوا، وما عجزهم إلا عن ضعفهم عن بلوغ رتبة القرآن، وأين في كلامهم ما يؤيد ويؤكد أنهم كانوا في بلاغتهم على درجة تمكنهم من معارضة القرآن والإتيان بمثله قبل أن يصرفوا؟.

المبحث الثاني: بيان جملة وجوه الإعجاز الذاتي للقرآن:

من الممكن وضع وجوه الإعجاز تحت تقسيم يرجع في أصله إلى معطيات المعاني من الألفاظ. فإن الألفاظ –من حيث كونها حاملة للمعاني على الوصف الذي سبق ذكره آنفاً– يطرد فيها الإعجازُ في جميع آيات القرآن الكريم بما تحمله من خصائصَ بيانيةٍ، وهذه النظرة اللغوية تنتظم القرآن في قطعة قطعة منه وفي سورة سورة، وفيما بين السور وبعض، وفى القرآن كله جملة[1].

والإعجاز اللغوي هو الذي وقع من جهته التحدي بالقرآن جملة وتفصيلاً أما من حيث الإعجاز العلمي –أي ما يعطيه من علوم– فهذا العطاء يتوقف على سلامة الفهوم، واستنارة الحلوم، وهذا ما يجعله مصلحاً لكل زمان ومكان.

ومن حيث إعجازه الإصلاحي التهذيبي الاجتماعي فهو ينسق بين طبائع البشر بما لا يجعل لقويها طغياناً على ضعيفها، إذ يخاطب في كل حال بمقتضاه خطاباً يستوثق به الوصول إلى المخاطبين في كل حين وحال.

والإعجاز الذاتي هو الذي يستبق الفهمُ الصريح إلى نظمه، أما ما عدا ذلك فلا يطرد في جميع القرآن.

فإخباره بالغيبيات ماضيها ومستقبلها، تنطق به آيات دون آيات، ووجوه الإعجاز العلمي سواء ما كان منها طِبِّياً أو كونيا كظواهِرَ لها

(١) النبأ العظيم ص ١٠٧.

من النظريات تفسير تَبْرُز به معان مستجدة للقرآن الكريم يكون في آيات منه دون آيات، أما من حيث الإعجاز العددي فهو بلا شك يدخل في إطار الإعجاز الذاتي؛ لأن الألفاظ من أول نزول القرآن إلى آخر يوم يُقرأ فيه هذا القرآن لم ولن يمسها نقص أو زيادة، مع أنه إعجاز غير مطرد في كل الآيات ولذلك تنقسم أوجه الإعجاز إلى ثوابت ومتغيرات، وهذه الثوابت تنقسم إلى: ثوابتَ مطردةٍ عامةٍ في كل الآيات والسور، وثوابتَ ينقدح وجودها في آيات دون آيات.

أما المتغيرات فهي كل ما يمس أصلاً من أصول النظريات العلمية التي تقحمت على الإنسان مداخل فكره، فراح يصوب منها بعضَها بما يُلْهَم به من فكر فيستوضح بها معنى لآية أو آيات.

فالنص القرآني في نفسه من حيث هو كلام عربي، له وجه يتعلق به وهو اللغوي البياني، أو ما يسمى بالنظم، ووجه يتعلق بمفهوم النص القرآني ولو تأويلاً من كل ما يستنبط منه أصول أو مفاتيح للعلوم، ويقصد بالمؤول ما يؤول إليه فهم النص بعد استدراكه من خارج القرآن الكريم وثبت أنه من الحقائق العلمية التي لا تنقض.

وهناك وجه يتعلق بالنص من حيث المبالغة في معناه لإيجاد التوافُقِ أو التوفيق بينه وبين سائر النظريات التفسيرية لبعض الظواهر في هذا الكون الفسيح، واختط الثلاثة سبيلاً واحداً هو إقامة البرهان على أن هذا الكلام لم يقله بشر وإنما هو من عند الله.

والنوعان الأخيران برز أولهما أولَ ما بَرَزَ أولُ الثلاثة وامتد معه على سبيل واحدة، حتى رافقهما في الآونة الأخيرة النوع الثالث، ليعلن الثلاثة بقاء قيام التحدي مع البرهان لكل الخلق على صدق كلام الخالق حتى تقوم الساعة، وأنه ما ينبغي لبشر أن يقوله، ولعل هذا مفاد قوله تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ...﴾ (فصلت: ٥٣) وتتلخص الخصائص التي تبرهن على أن القرآن من عند الله في أمور ثلاثة[1]:

أولاً: إعجاز القرآن.

ثانياً: نبوءات القرآن.

ثالثاً: القرآن والكشوف الحديثة.

وهذا التقسيم يوافق قول ابن القيم: "وقد عدد العلماء وجوهاً من الإعجاز غير ما ذكرناه الأَوْلَى أن تعد من خصائصه"[2].

وعلى هذا يترجح أن تكون الثوابت التي هي من لوازم النص القرآني في كل آياته وفي كل عصر، هي المعتبرة في وجه الإعجاز، وما عدا ذلك يعد من خصائص القرآن الكريم.

فمن حيث نبوءات القرآن لا نجد غير القرآن الكريم ما تحققت نبوءاته حرفاً حرفاً، والنبوءات لا شك تبدأ من القرآن أولاً، لا من الواقع ثم

---

(١) الإسلام يتحدى لوحيد الدين خان ط دار البحوث العلمية ص ١٢٣، ١٢٧، ١٣٨.

(٢) الفوائد المشوق إلى علم القرآن وعلم البيان لابن القيم ص ٢٥٥ .

يصدق الواقع النبوءات فيما بعد، فمثلا في قوله تعالى: ﴿ سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ﴾ (القمر: ٤٥) هذه نبوءة قبل وجود الجمع حتى قال بعضهم متعجباً: أي جمع هذا، ثم تحقق الوعد للمسلمين والوعيد للكافرين واستبان للمتعجب أي جمع قصد إليه القرآن يوم وعدهم بالنصر، وكل الآيات التي أطلق عليها أنها آيات علمية والتي أبانت عن مضمونها اكتشافات علمية أو ظواهر كونية، إنما برز المعنى في خارج القرآن ثم استفيد من الخارج المعنى الذي أضفى منه على هذه الآيات، ولذلك يقول الله تعالى: ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ﴾ ولذا لا تدخل هذه الآيات في إطار الإعجاز وإن دخلت في جملة البراهين على أن القرآن من عند الله.

الفصل الثالث
العناية ببيان وتمييز وجوه الإعجاز

المبحث الأول : ما يعتبر من وجوه للإعجاز ويعول عليه :

يؤلف تناول وجوه الإعجاز عبر القرون الإسلامية تكاملاً مباشراً وغير مباشر في منظومة الدراسات القرآنية. ولذلك يكثر التشابه بين محتويات المؤلفات في هذا الخصوص، خلا بعض ما يفارق منها المعهود بامتداد جديد إلى آفاق أرحب. والمحصلة الأخيرة هي القصد المشترك بين الجميع إلى إخراج جملة من سرائر القرآن تقيم برهان صدق دعوى النبي الأمي ﷺ أنه أوحي إليه هذا القرآن.

والخطابي يؤكد تعذر معرفة وجه الإعجاز في القرآن، وأن ذلك الأمر –الإعجاز– أبين من احتياجه إلى دليل أكثر من الوجود القائم المستمر على وجه الدهر . من لدن نزوله على النبي ﷺ وإلى ما شاء الله.

يقول سليمان الخطابي[1]: "قد أكثر الناس الكلام في هذا الباب قديماً وحديثاً، وذهبوا فيه كل مذاهب من القول، وما وجدناهم بَعْدُ صدرُوا عن رِي، وذلك لتعذر معرفة وجه الإعجاز في القرآن ومعرفة الأمر في الوقوف على كيفيته.

فأما أن يكون قد بقيت في النفوس بقية بكونه معجزاً للخلق ممتنعاً

---

(١) بيان إعجاز القرآن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ص ٢١ .

عليهم الإِتيان بمثله على حال[1] فلا موضع لها .

"والذي عليه الجمهور والحذاق وهو الصحيح في نفسه أن التحدي إنما وقع بنظمه وصحة معانيه وتوالى فصاحة ألفاظه ﴿ فَإِلَّمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَكُمۡ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلۡمِ ٱللَّهِ . . . ﴾ (هود : ١٤) فوجه إِعجازه أن الله أحاط بالكلام كله علماً، فأي لفظة تصلح أن تلي الأولى وتبين المعنى بعد المعنى كانت كما وردت في القرآن الكريم .

فلو نزعت منه لفظة ثم أدير لسان العرب في أن يوجد أحسنُ منها لم يوجد ونحن تَبَيَّنَ لنا البراعةُ في أكثره، ويخفى علينا وجهُها في مواضع لقصورنا عن مرتبة العرب يومئذ في سلامة الذوق وجودة القريحة وميز الكلام[2]" .

ولقد كثر الأخذ والرد في الوقوف على وجه إِعجازي محدد للقرآن في ذاته ككلام، وما استقر لأحد مَقَاماً حتى أقام فيه آخرُ اعتراضاً أحاله دون مُقَامِه، و ما استرد هذا لنفسه قولاً حتى محاه ذاك الآخر، فصار البحث عن وجه الإِعجاز هو بذاته وَجْهَ الإِعجاز، إِذ الحيرة في الثبات على حقيقة أمر، برهان العجز عن الوصول إِلى هذه الحقيقة، فانكشف لذي العلوم الكونية بيان القدرة في إِحكام النواميس الكونية والقوانين التي تسير وفقها الأغراض الخَلْقِيَّة، فأخذ المسلمون ـالعلماءُ منهم

(١) أي على وجه إِعجاز معين .

(٢) المحرر الوجيز لابن عطية ١ / ٥٢ .

بهذه المجالات- وجهاً لشبه الرؤية بمعنى آيات قرآنية استراحت له نفوسهم، واستهدت له قلوبهم، وراق رواؤه لظمأ اشتباه المعاني عليهم، فعرضوا ما اقتبسوه من نظرة العلماء في الكون على محتملات الألفاظ في آيات قرآنية، فنازعهم منه توافق بين المعنى القرآني والعلمِ الحديث، سواء كان على نحوٍ مطيع ذلول، أو نحوه مُكْرَهٍ مسوق بالافتعال.

والناظر في كتب الإعجاز العلمي للقرآن لن يجد غير التكرار، اللهم إلا ما اشتمل عليه بعضها مما وقف عليه مؤلفوها من فائدة جديدة علموا بها فاستأثر ببدء إبدائها صاحبها فأفاد منها خَلَفه.

والآيات القرآنية التي تحوي جُمَلاً من الاحتمالات المعنوية لألفاظها هي التي تُوسِعُ المضمار للسائرين القادرين على اقتناص التوافق العلمي مع المعنى القرآني لبعض الآيات، أما ما كان محدَّد الفهم، محكم المعنى، فهي الآيات التي لا يخرج تفسيرها عن الحقائق العلمية، لذا كانت تلك الآيات منطلقاً لفهم الحقائق الكونية على نحو ما وصف الحكيم الخبير في كلامه، ومن جملة ذلك قوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ ... ﴾ (النور: ٤٥). وقوله تعالى: ﴿ لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴾ (الشورى: ٤٩، ٥٠) فالله أنزل القرآن بعلمه الذي علم عن خلقه، قدير لا يأتي أحد بغير ما وصف،

ولن يزيد أحد على ما خلق الله قسماً خامساً فوق هذه القسمة لصور الهبة الإلهية، والآية الأولى كالثانية فيها تحد بالقدرة الإلهية، فالله خلق الدواب من ماء ولكن الإنسان يصنع الدواب -كوسائل المواصلات وغيرها الآن- من غير الماء، فهل من البشر من يقدر على الخلق من الماء؟ أو أن يخص كل دابة بماء؟.

المبحث الثاني: وجه أو وجوه الإعجاز؟

لكي نتمكن من تمام المطابقة بين مفهوم الإعجاز ووجوه تحسب من الإعجاز، لابد من استصحاب شرائط المعجزة مع تعريفها المُتَصَوَّر في الذهن، إذ قد مرت بنا كثرة من توزيعات الرؤية حول أمر قد يكون واحدا، والحال أن كل شيء في الدنيا تكثر صوره بكثرة الرائين، فلكل واحد زاوية خاصة ينظر من خلالها، حتى يبدو للجميع توحد وتوافق فيما لم يقم برهان واحد على التماثل التام بين وجهين من الوجوه.

واختلاف وجهات الرؤية أوحت باستقصاء الآراء في وجوه الإعجاز حتى قيل: إن بعضهم أنهى وجوه إعجاز القرآن الكريم إلى ثمانين وجهاً[1] ولا مناص من تبين حقيقتين للمتكلم في إعجاز القرآن، وأن يفصل بينهما فصلاً ظاهراً لا يلتبس، وأن يميز أوضح التمييز بين الوجوه المشتركة التي تكون بينهما، وهاتان الحقيقتان العظيمتان هما:

أولهما: أن "إعجاز القرآن" كما يدل عليه لفظه وتاريخه، وهو دليل النبي ﷺ على صدق نبوته، وعلى أنه رسول من الله يوحى إليه هذا القرآن، وأن النبي ﷺ كان يعرف "إعجاز القرآن "من الوجه الذي عرفه منه سائر من آمن به من قومه العرب، وأن التحدي الذي تضمنته آيات التحدي إنما هو تحد بلفظ القرآن ونظمه وبيانه لا بشيء خارج عن ذلك.

(١) معترك الأقران للسيوطي ١/٥.

ثانيهما: أن إثبات دليل النبوة، وتصديق دليل الوحي، وأن القرآن تنزيل من عند الله كما نزلت التوراة والإنجيل والزبور وغيرها من كتب الله سبحانه لا يكون منها شيء يدل على أن القرآن معجز.

والخلط بين هاتين الحقيقتين، وإهمال الفصل بينهما في التطبيق والنظر، وفي دراسة " إعجاز القرآن " قد أفضى إلى تخليط شديد في الدراسة قديماً وحديثاً[١].

والقرآن كان ينزل على النبي ﷺ منجماً، وكان الذي نزل عليه أول أمر الوحي قليلاً، فكان هذا القليل من التنزيل هو برهانه على نبوته، وهذا القليل دليل على أن تاليه عليهم، وهو بشر مثلهم، نبي من عند الله مرسل.

فإذا صح هذا، وهو صحيح لا ريب فيه، ثبت أن الآيات القليلة من القرآن ثم الآيات الكثيرة، ثم القرآن كله، أي ذلك كان في تلاوته على سامعه من العرب، الدليل الذي يطالبه بأن يقطع بأن هذا الكلام مفارق لجنس كلام البشر وذلك من وجه واحد، هو وجه البيان والنظم[٢] وإذا كان الأمر على هذا النحو فإن سائر ما يورده المتقدمون والمتأخرون من وجوه الإعجاز لا ينسحب عليه في الحقيقة عدُّه وجهاً من وجوه

---

(١) الظاهرة القرآنية مالك بن نبي فصل في إعجاز القرآن مقدمة الكتاب بقلم الأستاذ/محمود محمد شاكر ص ١٧، ١٨ .

(٢) الظاهرة القرآنية ص ٢١ .

الإعجاز، إذ التمحيص والبحث والإنعام في التوافق بين الإعجاز في معناه المجرد وبين الوجه المسوق لهذا الإعجاز يستجلي انفصام العلاقة بينهما على نحو ما.

وبعض هذه الوجوه تكمن في حيازته وتضمنه الكثير من الآيات التي تحمل أسراراً يعجز عن سبر أغوارها عصر أو عصور متتالية، وفرق بين العجز عن إدراك محتواه وبين الإتيان بمثله ولو كان المأتي به مفترى.

والمعجزة خرق العادة، ولم يخرق القرآن عادة عربية في غير نظمه وبيانه، ولم يقل أحد إن كشفَ خفاءِ دقائقِ العادة خرقٌ لها، إذ بُدُو الموجود وبروزه إلى العيان لا يعني خرقاً لعادة.

والأنبياء لهم من خرق العادات ما يؤيد صدق دعواهم للنبوة والرسالة، وليس ما يبدو من آثار لقدرة الله في الكون معجزةً قرآنية، إذ لو كانت لامتد منها برهان عند اللحظات الأولى لنزول الوحي لتقوم في وجه الكافرين برهاناً على أن القرآن من عند الله. أما وأنه قد تأخرت رؤية التطابق بين آي الكون وآي القرآن فلا يمكن القول بأن مثل هذا كان وجهاً بادياً للعرب عند تحديهم.

والآيات البارزة في الكون دليل على أن للكون إلهاً، وذلك هو المقصود الأوحد والأول من الدعوة إلى النظر في السموات والأرض.

ويقول الزملكاني برجوع وجه الإعجاز إلى التأليف الخاص بالقرآن لا مطلق التأليف، بأن اعتدلت مفرداته تركيباً وزنة، وعلت مركباته

معنى، بأن يوقع كل فن في مرتبته العليا في اللفظ والمعنى[١].

ويؤكد الخطابي[٢] تعذر معرفة وجه الإعجاز في القرآن، ولكنه يقول[٣]: "قلت في إعجاز القرآن وجهاً آخر ذهب عنه الناس فلا يكاد يعرفه إلا الشاذ من آحادهم، وذلك صنيعه بالقلوب وتأثيره في النفوس".

وبهذا يتبين أنه قد يلوح للبعض ما أثر في نفسه واستقر من جملة عطاء القرآن ما يحسبه وجهاً للإعجاز، ولابد من التمييز بين الوجه والتوجيه في دراسة الإعجاز لدرك الصواب.

والدكتور البوطي يقول في كتابه من روائع القرآن[٤]: "إذا رأيت من إذا تلا القرآن تأثر به قائلا : إن هذا الكلام لا يمكن أن يصدر عن بشر فاعلم أنه متفاعل مع هذا الوجه الأخير –يريد به مظهر جلال الربوبية– ولا يتجلى الإعجاز إلا لقلب لم تخنقه أغشية الكبر والعناد".

ولا يمكن حمل العادة التي يتخلف معهودها على كونها من الناظر، بل هي في المنظور، فمن استظهر أمراً لا يكون هو محل المعجزة، نعم قد يكون منه غير ما اعتيد، لكن الشيء الذي استبان فيه الوجه الجديد لم يتحول عما كان عليه قبل ظهور ما خفي منه من قبل، اللهم

(١) البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن ط ١٣٩٤هـ، ص ٥٤.

(٢) بيان إعجاز القرآن ص ٢١.

(٣) بيان إعجاز القرآن ص ٧٠.

(٤) من روائع القرآن الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي ص ١٦٠.

إلا إذا انفرد هذا الناظر بهذا البيان وحده دون غيره، فإنه يكون قد أتى بما يعجز عنه غيره، وحينئذ تتعلق المعجزة بشخصه مباشرة.

والخصائص التي يهتدى من خلالها إلى أن القرآن كلام الله تعالى كما أوردها وحيد الدين خان في كتابه " الإسلام يتحدى " تمكننا من الزحزحة ولو قليلاً نحو اعتبارات تؤكد عدم قصر وجوه الإعجاز في النظم والبيان، شريطة أن يكون المنطلق في كل وجه يحتسب للإعجاز منطلقاً قرآنياً بحتاً، بحيث لا نضفي من خارج النص ما يسمح بالربط بين ما هو خارج النص من ظواهر كونية وكشوف علمية حديثة وبين إشارات وتلميحات قرآنية، فمثل هذا لا يعدو أن يكون توجيهاً لا وجهاً للإعجاز.

وهذه الخصائص –وقد سبق ذكرها– وهي: إعجاز القرآن، ونبوءاته، والقرآن والكشوف الحديثة –أي العلاقة بين القرآن والكشوف الحديثة– براهين ثابتة الدلالة على أن محمداً ﷺ رسول من عند الله، ولكن بعضها لا يمكن اعتباره وجهاً للإعجاز.

فالنبوءات لا يلزم صدورها عن نبي أو كتاب منزل عليه من ربه، والشواهد على ذلك كثيرة، والكشوف الحديثة أولَ ما تبرزُ معالِمُها لا تكون في القرآن بل يكون بدء العلم بها من خارج القرآن، ثم يعالَجُ التوافق بتغيير المفهوم القرآني ليتفق مع ما تجلى من كشفيات علمية حديثة.

والنبي محمد ﷺ خالف في قدره السامي عند ربه جماعة الأنبياء، فكانت له المعجزة الحسية بخرق العوائد ثم عودتها إلى ما عهد منها من قبل وكانت منه نبوءات تحقق منها ما وعد به أو توعد. وكل هذا كان بعيداً عن القرآن ليسجل على الناس جميعاً أن هذا النبي يحمل دلائل نبوته على نحو ما كان عليه الأنبياء من قبل وله فضل زيادة بقاء المعجزة الخالدة في القرآن الكريم.

وحين يوقفنا القرآن الكريم على مشاهد آثار القدرة الإلهية في الكون يؤكد ضرورة ابتعاث رسل خاصة من نفوسنا تشاهد إعجاز القدرة الإلهية في كون الله ليتجدد الإقرار بأن لا إله إلا الله ﴿قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَا تُغۡنِي ٱلۡأٓيَٰتُ ...﴾ (يونس: ١٠١)، وهو تعجيز لقدرة البشر لا لكلامهم. ولا يتصور أن يخلو كتاب سماوي من إخبار بغيوب سواء منها ما كان ماضياً، أو مستقبلاً، أو حاضراً مكانياً، ومع هذا لم ينل حظَّ الإعجاز كتابٌ غير القرآن الكريم.

ولا بد من الإبقاء على الوجه الأول الذي وُوجِه بِه العربُ عند تحديهم، فما كان لهم في أول الأمر من علم بما صارت عليه بوارق المعاني المستوحاة من خارج النص القرآني كنص عربي.

لكل هذا كان الكلام بما يحمل من خصائص اللغة العربية هو مبعث رؤية الإعجاز عند العرب جميعاً.

ومن العجيب أن لكل عصر لغة تَسِمُهُ بخَواصِّ التعبير عن مكنونات النفوس، ولذلك يبدو جَلِياً كثير من وجوه افتراق الكلام على امتداد الزمن، وإن كان هذا الاختلاف في لغة واحدة.

وإذا نَظَرْتَ في كتب مختلفةٍ أزمانُ تصنيفها تَفَتَّقَ لك وضوحُ فوارِق عدة، تميز عصرا عن عصر، وكلاماً عن كلام، والقرآن وحده لم تغيره السنون، واختلاف الفنون، لكن الإدراك أو الذوق هو الذي يختلف في كل حين عن سابقه.

ولابد من معرفة أمور تُحَدَّدُ على أساسها صحة كون الوجه إعجازاً قرآنيا وهذه الأمور[1]:

الأول: أن قليل القرآن وكثيره في شأن الإعجاز سواء.

الثاني: أن الإعجاز، كائن في وصف القرآن وبيانه ونظمه، ومباينة خصائصه للمعهود من خصائص كل نظم وبيان في لغة العرب. ثم في سائر لغات البشر، ثم في بيان الثَّقَلَيْنِ جميعاً، إنسهم وجنهم متظاهرين، والله عز وجل لم يقصر التعجيز عن الإتيان بمثل القرآن على الإنس والجن لأن الملائكة تقدر على الإتيان بمثله، ولكن لأن الرسالة كانت إلى الإنس والجن، فوقع التحدي للفريقين، حتى إذا عجزُوا كان عجزُهم دلالةً على أن النبيﷺ عاجز مثلهم فيظهر بذلك أنه لم يأت بالقرآن من عند نفسه، وإنما أتى به من عند الله.

"فأما الملائكة فلم يتحدوا عن ذلك، لأن الرسالة إذا لم تكن إليهم لم يكن القرآن حجة عليهم، فَنَبِّئوا أكانوا قادرين على مثله أو

---

(١) الظاهرة القرآنية ص ٢٤، ٢٥ .

عاجزين؟ وهم عندنا عاجزون[1] وليس الإتيان بمثل القرآن من قلب المدائن، والإتيان بالتابوت في شيء، لأن قلب المدينة وحمل التابوت العظيم كالذي يوصف من تابوت بني إسرائيل لقصور قواهم عنه -قوى بني إسرائيل- فإذا زادت قوة الملك على قوة الآدمي أضعافاً مضاعفة زاد علمه أيضاً لذلك.

وأما نظم القرآن فإنه ليس من جنس نظم كلام الناس، ولكنه مباين لهذا فلا يُهْتَدَى إليه فَيُحْتَذَى ويُمَثَّل، فهو كتركيبِ الجواهرِ غيرِ الأجسامِ لتصيرَ أجساماً، ولا على قلب الأعيان ولا يقدرون عليه من ذلك، والملائكة لا يقدرون عليه كذلك. وفي ذلك ما أبان أن نظم القرآن ليس من عند جبريل لكنه من عند اللطيف الخبير".

وأضيفُ أنه ما كان التحدي إلا مواجهة لإنكار كون القرآن من عند الله، ولا يتصور أن يكون من الملائكة مثل ذلك الإنكار، وبالتالي لا يتصور مجابهتهم بالتحدي ﴿ قَالُواْ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ (البقرة: ٣٢).

الثالث: أن الذين تحداهم بهذا القرآن قد أوتوا القدْرةَ على الفصل بين الذي هو مِنْ كلام البشر، والذي هو ليس من كلامهم.

الرابع: أن الذين تحداهم به كانوا يدركون أن ما طولبوا به من الإتيان بمثله، أو بعشر سور مثله مفتريات، هو هذا الضرب من البيان الذي يجدون في أنفسهم أنه خارج من جنس بيان البشر.

(١) كتاب المنهاج في شعب الإيمان للحليمي ١ / ٣١٩.

الخامس: أن هذا التحدي لم يُقْصَدْ به الإتيان بمثله مطابقاً لمعانيه، بل أن يأتوا بما يستطيعون افتراءه واختلاقه، من كل معنى أو غرضٍ مما يعتلج في نفوس البشر.

السادس: أن هذا التحدي للثقلين جميعاً إنسهم وجنهم متظاهرين تحد مستمر قائم إلى يوم الدين.

السابع: أن ما في القرآن من مكنون الغيب ومن دقائق التشريع ومن عجائب آيات الله في خلقه، كل ذلك بمعزل عن هذا التحدي المفضي إلى الإعجاز، وإن كان ما فيه من ذلك كله ما يعد دليلا على أنه من عند الله، ولكنه لا يدل على أن نظمه وبيانه مباين لنظم كلام البشر وبيانهم، وأنه بهذه المباينة كلامُ رب العالمين لا كلام بشر مثلهم.

أرأيت كلاما يحمل مكنون الغيب ودقائق التشريع وعجائب الآيات في الخلق يكون لأجل ما يحمل معجزاً؟

نعم.. إن القرآن حين يقرر الحقائق لا ينزع إلى تحويرها أحدٌ أبداً، وما كان ذلك ليكون لولا أن قائله هو العزيز الحكيم، فكل ما يصدر عن الله تعالى يلازمه دوام التصديق من الكون شاهداً على قدرة الخالق جل وعلا.

لذا كان لزاماً أن تطْرَحَ كل الوجوه ما عدا ما تعلق منها بذاتية القرآن كلاماً عربياً، والوجه الذاتي بلا شكٍ لا يفارق الذات أصلا، فالكلام من حيث هو كلام منبعٌ لإعجاز القرآن.

المبحث الثالث: مظهر العناية بجمع وجوه الإعجاز:

لما كان البحث متعلقاً بعناية المسلمين بوجوه الإعجاز كان إيراد ما عدَّ منها ضَرُورِيَّ الذكر وإن لم يلزم قبولها كلها، ومهما يكن من شيء فإن كثيراً من العلماء أثروا الدراسات القرآنية برؤاهم الفاحصة في وجوه الإعجاز، يتفرسون في كل وجه ما تستنطق منه أمارات الفوارق الواضحة بين كلام الله وكلام البشر، أو يوجهون نحو النصوص ما يلائم احتمالها وجهاً يقال إنه وجهُ إعجاز.

وجدير بالذكر أن ما يتعلق بالإعجاز من هذه الوجوه لا يباينُ بَيْنَ قدرةِ الله وقدرةِ الخَلْق وبين علمه تعالى وعلمهم، وبين إرادته وإرادتهم، ولكن تساق هذه الوجوه لتسجيل التباين التام بين كلام الله تعالى وكلام البشر، بغض النظر عما يحمله الكلام من موضوع. فالقرآن معجز من حيث إنه كلام.

ومع هذا... فهؤلاء بعض الذين أماطوا اللثام عن رؤية وجوه الإعجاز حسب ما عنَّ لهم منها، وإن كان البعض قد قَصَرَهَا على النظم اعتقاداً فقد زاد عليه سرداً وإيراداً.

ومن جملة من عُنُوا بجمع وجوه الإعجاز وبيانها الشيخ السيوطي في "معتركه" حيث حوى مؤلَّفهُ خمسةً وثلاثين وجهاً، هي بحق

أكثر ما أحصى كتاب مما شاء الله اطِّلاَعِي عليه من مؤلفات في هذا الشأن، ولهذا آثرت الابتداء به، لاستغراقه جُلَّ ما ورد في غيره من الوجوه.

ومعترك الأقران يَضُم هذه الوجوه متناولاً إياها بالتحليل والتمثيل والبيان، وما يتعلق بكل منها من سائر ما عرض له المتقدمون، وهذه الوجوه هي:

١- احتواء القرآن على علوم ومعارف لم يجمعها كتاب من الكتب، ولا أحاط بعلمها أحد في كلمات قليلة وأحرف معدودة ﴿ ... مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ ... ﴾ (الانعام: ٣٨) ﴿ ... وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ ... ﴾ (النحل: ٨٩).

٢- كونه محفوظاً عن الزيادة،والنقصان، ومحروساً عن التبديل والتغيير على تطاول الأزمان بخلاف سائر الكتب قال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ (الحجر: ٩) فلم يقدر أحد بحمد الله على التجاسر عليه.

٣- حسن تأليفه، والتئام كلمه وفصاحتها، ووجوه إيجازه وبلاغته الخارقة عادة العرب، وأسلوبه الغريب مخالفاً لأساليب العرب، ولم يوجد قبله ولا بعده نظيره .

٤- مناسبة آياته وسوره، وارتباط بعضها ببعض حتى تكون كالكلمة الواحدة متسقَةَ المعاني منتظمة المباني.

وقد ألف العلامة أبو جعفر بن الزبير شيخُ أبي حيان في أسرار

التناسب كتاباً سماه "البرهان في مناسبة ترتيب سور القرآن" وألف برهان الدين البقاعي "نظم الدرر في تناسب الآيات والسور".

وأول من سبق إلى هذا العلم الشيخ أبو بكر النيسابوري.

٥- افتتاح السور وخواتمها، وهو من أحسن الوجوه وأكملها كالتحميدات وحروف النداء والهجاء وغير ذلك. وخواتم السور مثل الفواتح في هذا الحسن، فلهذا جاءت متضمنة للمعاني البديعة مع إيذان السامع بانتهاء الكلام.

٦- مشتبهات آياته، بأن ترد القصة في سور شتى وفواصلَ مختلفة.

٧- ورود مشكله حتى يوهم التعارض بين الآيات.

٨- وقوع ناسخه ومنسوخه.

٩- انقسامه إلى محكم ومتشابه.

١٠- اختلاف ألفاظه في الحروف وكيفيتها.

١١- تقديم بعض ألفاظه وتأخرها في الموضع.

١٢- إفادة حصره واختصاصه.

١٣- احتواؤه على جميع لغات العرب وبلغة غيرهم من الفرس.

١٤- ورود بعض آياته مجملة وبعضها مبينة.

١٥- عموم بعض آياته وخصوص بعضها.

١٦- الاستدلال بمنطوقه ومفهومه.

١٧- وجوه مخاطبته.

١٨- ما انطوى عليه من الإخبار بالمغيبات.

١٩- إخباره بأحوال القرون السالفة.

٢٠- روعته وهيبته.

٢١- أن سامعه لا يمجه.

٢٢- تيسير الله حفظَه وتقريبَه على متحفظيه.

٢٣- وقوع الحقائق والمجاز فيه.

٢٤- تشبيهه واستعاراته.

٢٥- وقوع الكناية و التعريض.

٢٦- إيجازه وإطنابه.

٢٧- وقوع البدائع البليغة فيه.

٢٨- احتواؤه على الخبر والإنشاء.

٢٩- إقسام الله تعالى في مواضع لإقامة الحجة وتأكيدها.

٣٠- اشتماله على أنواع البراهين والأدلة.

٣١- ضرب الأمثال فيه.

٣٢- ما فيه من الآيات الجامعة للخوف والرجاء.

٣٣- ورود آيات مبهمة يحارُ العقل فيها.

٣٤- احتواؤه على أسماءِ الأشياء والملائكة والكُنَى والألقاب وأسماء القبائل والبلاد والجبال والكواكب.

٣٥ ـ ألفاظه المشتركة.

ومعلوم أن بعض هذه الوجوه قد يشترك فيها كل كلام، ولكن القرآن قد نال منها الدرجة العليا التي تعزب عن طاقة البشر، وما عد السيوطي الصرفة وجها في كتابه الموسوم بمعترك الأقران في إعجاز القرآن وإن كان قد ساق من الحديث طرفاً عنها في الإتقان.

وبناء على ما تقدم من بيان ما يعد وجه إعجاز وما لا يعد، فإن هذه الوجوه التي أوردها السيوطي لا تدخل جميعُها في مفهوم الإعجاز وإن عدت من خصائص القرآن.

ولتقف على ما قرره الإمام أبو يعقوب يوسف بن أبى بكر محمد علي السكاكي في "مفتاح العلوم" من أن الإجماع منعقد على أن القرآن الكريم معجز، ولكن اختلف قارعو باب الاستدلال في وجه الإعجاز على النحو التالي[١]:

١- منهم من يقول: إن الله صرف بمشيئته المتَحَدَّيْنَ مع قدرتهم فيما بينهم في نفس الأمر. ويرد السكاكي هذا القول بأن التعجب على هذا القول يلزم أن يكون من تعذر المعارضة لا من نظم القرآن.

٢- ومنهم من يقول: وجه الإعجاز ورود القرآن على أسلوب مبتدأ مباين لأساليب كلام العرب في خطبهم وأشعارهم، ولاسيما في مطالع السور ومقاطع الآي.

---

(١) مفتاح العلوم ص ٥١٢، ٥١٣.

ويرد السكاكي بأنه لو كان ابتداء أسلوب يستلزم تعذر الإتيان بالمثل لاستلزم ابتداء الخطبة والشعر كونه معجزاً، إذ لا شبهة في أنها مُبْتَدَءَاتٌ تعذر الإتيان بمثلها، ولكن شيئاً من ذلك لم يكن معجزاً فاللازم مُنْتَفٍ.

٣- ومنهم من يقول: وجه إعجاز القرآن سلامته من التناقض.

ويرد بأن هذا يستلزم كون كل كلام إذا سلم من التناقض وبلغ مقدار سورة من السور أن يُعَدَّ معارضة . واللازم منتف بالإجماع.

٤- ومنهم من يقول: وجه الإعجاز الاشتمالُ على الغيوب.

ويرد بأن هذا القول يستلزم قصر التحدي على السور المشتملة على الغيوب دون ما سواها واللازم بالإجماع أيضا منتف .

فهذه أقوال أربعة: يخمسها ما يجده أصحاب الذوق من أن وجه الإعجاز هو أمر من جنس البلاغة والفصاحة.

ولا طريق لك إلى هذا الخامس إلا طول خدمة عِلْمَي المعاني والبيان بعد فضل إلهي من هبة يهبها بحكمته من يشاء، وهى النفس المستعدة لذلك، فكل مُيَسَّر لما خلق.

ثم يشير السكاكي إلى أنه لا استبعاد في إنكار هذا الوجه ممن ليس معه ما يطلع عليه. ثم يقر بما كان هو عليه مِنْ مِثْلِ ذلك الإنكارِ بقوله: "فَلَكَمْ سحبنا الذيل في إنكاره، ثم ضممنا الذيل ما إِنْ

ننكِرُه، فله الشكر الجزيل على ما أولى و له الحمد في الآخرة والأولى"[1].

ومن قبل يوُصِي السكاكي مخاطَبَه قائلا: "وأن لا تتجاذَبْك أيدي الاحتمالات فِي وجه الإعجاز"[2].

وممن أسهم في العناية ببيان وجه الإعجاز القاضي الباقلاني[3] (٣٣٨هـ – ٤٠٣هـ) وهو متكلم أشعري، أجمل وجوه الإعجاز في ثلاثة[4]:

١– أنه يتضمن الإخبار عن الغيوب وذلك يعجز عنه البشر.

٢– أنه كان معلوماً أن النبي ﷺ أمي لا يكتب ولا يُحْسِن أن يقرأ، ثم أتى بجملة ما وقع وحدث من عظيمات الأمور ومهمات السِّيَرِ مِنْ خَلْق آدم إلى حينِ بعثه.

٣– أنه بديع النظم عجيب التأليف متناه في البلاغة إلى الحد الذي يُعْلَمُ عَجْزُ الخلق عنه.

وبديع نظمه المعجزِ يتضمن وجوهاً:

أ– ما يرجع إلى الجملة، فنظمه على تصرف وجوهه واختلاف مذاهبه خارج عن المعهود وليس بالسجع ولا بالشعر.

---

(١) مفتاح العلوم ص ٥١٣ .

(٢) مفتاح العلوم ص ٥١١ .

(٣) هو القاضي أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم الباقلاني البصري.

(٤) إعجاز القرآن للباقلاني ص ٥٠ وما بعدها .

ب- أنه ليس للعرب كلام مشتمل على هذه الفصاحة والغرابة والتصرف البديع والمعاني اللطيفة وغير ذلك على هذا الطُّولِ والقدر.

ثم ذكر الرجل طرفاً من وجوه اختلاف كلام البشر عن كلام الله تعالى مُتَنَاوِلاً الكلمةَ القرآنية وموقعَها في تضاعيف الكلام البشري كأنها درة في سلك من خرز أو ياقوتة في واسطة عقد، ثم تعرض للحديث عن أوائل السور من حروف الهجاء باسطاً فيها قوله بما يناسب مَقَامَ العرض لها.

ثم ذكر أن بعض أصحابه يرون أن علل الأحكام مُوَافِقَةً لمقتضى العقل يُعَدُّ وجه إعجاز، وقرر أن مثل ذلك الاستحسان الذي يولع به أهلُ خراسانَ لا يستقيم عند الأصل الذي يبنون عليه مثل هذا.

وأخيرا يقول: "ولا نقول إن وجه الإعجاز في نظم القرآن أنه حكاية عن الكلام القديم".

ويقول الرماني[1]: "وجوه الإعجاز تظهر من جهات ترك المعارضة مع توفر الدواعي وشدة الحاجة، والتحدي للكافة، والصرفة، والإخبار عن الأمور المستقبلة، ونقض العادة، وقياسه بكل معجزة".

وأراد بنقض العادة تفرد القرآن بطريقة خرجت عن عادة كلام العرب وتفوق كل طريقة.

وأراد بقياسه بكل معجزة أن سبيل فلق البحر وقلب العصا حية سبيل واحد في الإعجاز إذ خرج عن العادة فَصَدَّ الخلق عن المعارضة.

(١) ثلاث رسائل في إعجاز القرآن " ذخائر العرب ١٦ " النكت في إعجاز القرآن للرماني ص ٥٧.

والقاضي عياض[1] في كتابه الشفا حين تعرض لإعجاز القرآن في فصله يرى أن القرآن مُنْطَوٍ على وجوه من الإعجاز كثيرة، وتحصيلها من جهة ضبط أنواعها في أربعة وجوه:

الأول: حسن التأليف، والتئام كَلِمِهِ، وفصاحتُه، ووجوه إيجازه، وبلاغته الخارقة عادة العرب.

الثاني: صورة نظمه العجيب، والأسلوب الغريب المخالف لأساليب العرب.

الثالث: ما انطوى عليه من الإخبار بالمغيبات، وما لم يكن ولم يكن ولم يقع، فَوُجِدَ كما وَرَدَ على الوجه الذي أخبر.

الرابع: ما أنبأ به من أخبار القرون السالفة والأمم البائدة، والشرائع الدائرة. ثم زاد عليها الروعة التي تلحق القلوب والهيبة التي تعتري سامعيه،وكونه آية باقية تَكَفَّلَ الله بحفظه.

ولابن سنان الخفاجي[2] نوع إسهام في بيانه سِرَّ الفصاحة حيث قصد إلى تأليف كتابه لسببين ذَكَرَهُمَا كثمرةٍ وفائدة تحصل لمن وَعَى هذا الكتاب، وواحد هذين السببين وإحدى الثمرتين من جهة العلوم الشرعية، حيث المعجز الدالُّ على نبوة نبينا محمد ﷺ هو القرآن.

والخلاف الظاهر فيما كان به معجزاً على قولين:

---

(١) الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض ط صبيح ١/٢١٧-٢٣٧ بتصرف.

(٢) سر الفصاحة لعبد الله محمد بن سعيد بن سنان — أبو أحمد الخفاجي الحلبي ص ١٣، ١٤.

أولهما : أنه خَرَقَ العادةَ بفصاحته، ومن ذهب إلى هذا لابد له من بيان ما الفصاحة التي وقع التزايد فيها موقعاً خرج عن مقدور البشر.

ثانيهما : أن وجه الإعجاز : صرف العرب عن معارضته مع أن فصاحة القرآن كانت في مقدورهم لولا الصرف والقائل بهذا يحتاج كذلك إلى معرفة الفصاحة ليقطع على أنها كانت في مقدورهم.

والشيخ رحمت الله الهندي في كتابه "إظهار الحق"[1] أسهم في سبيل الدفاع عن القرآن بحظ لا ينكر ، وذكر أن الأمور التي تدل على أن القرآن كلامُ الله كثيرةٌ اكتفى منها باثني عشر أمراً، ثم بَيَّنَ الشيخ في الأمر الثالث كَوْنَ القرآن منطويا على الإخبار على الحوادث الآتية فوجدت على الأيام اللاحقة على الوجه الذي أخبر، فساق اثنين وعشرين شاهدا قرآنيا على ذلك. من ذلك آية سورة الروم التي هي مطلع السورة، فأورد ما قاله أحد القسيسين مَنْ سماه الشيخ بصاحب "ميزان الحق" في الفصل الرابع من الباب الأول من هذا الميزان من أنه "لو فرضنا صدق ادعاء المفسرين أن هذه الآية نزلت قبل غلبة الروم الفرس فنقول إن محمداً ﷺ قال بظنه أو بصائب فكره لتسكين قلوب أصحابه، وقد سُمِعَ مثلُ هذه الأقوال من أصحاب العقل والرأي في كل زمان" فردَّ الهندي قوله بوجهين:

الأول: أن تحديد الزمان ببضع سنين لا يتأتى من عاقل ادعاء قطعيا بوقوع أمر فيه.

(١) إظهار الحق لرحمت الله الهندي ٢ / ٦١ وما بعدها .

الثاني: أن العادة جرت أنه ليس كل ما يقوله العقلاء يقع جميعه، بل يتخلف بعض ما ادَّعَوْا وقوعَه فيما يستقبل من الزمان، فمن كَذَبَ على الله تعالى وافترى حقيق على الله تعالى أن يباعد بَيْنَ ما يقول وصحة هذا القول.

وفي "الإتقان" للسيوطي[1]: قال المراكشي في "شرح المصباح": الجهة المعجزة في القرآن تعرف بالتفكر في تأدية المعنى، وعن تعقيده، وتعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية تطبيقه لمقتضى الحال.

لأن جهة إعجازه ليست مفردات ألفاظه، وإلا لكانت قبل نزوله معجزة ولا مجرد تأليفها، ولا مجرد أسلوبه، وإلا لكان الابتداء بأسلوب الشعر معجزاً -والأسلوب الطريق-: ولكان هذيان مسيلمة معجزاً، ولأن الإعجاز يوجد دونه -أي الأسلوب- في نحو ﴿ فَلَمَّا ٱسْتَيْـَٔسُوا۟ مِنْهُ خَلَصُوا۟ نَجِيًّا... ﴾ (يوسف: ٨٠). ﴿فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ... ﴾ (الحجر: ٩٤)، ولا بالصرف عن معارضتهم، لأن تعجبهم كان من فصاحته ولأن مسيلمة وابن المقفع والمعري وغيرهم قد تعاطوها[2] فلم يأتوا إلا بما تمجه الأسماع وتنفر منه الطباع ويضحك منه في أحوال تركيبه، وبها -أي بتلك الأحوال- أعجز البلغاء وأخرس الفصحاء.

فعلى إعجازه دليل إجمالي: وهو أن العرب عجزت عنه وهو بلسانها

---

(١) الإتقان في علوم القرآن للسيوطي، ص ١٠٠٨، ١٠٠٩.

(٢) الناظر في كتب هؤلاء الذين اتهموا بالمعارضة لا يجد ما يثبت ذلك عنهم.

فغَيْرُهَا أحرى، ودليل تفصيلي : مقدمته التفكر في خواص تركيبه، ونتيجته العلم بأنه تنزيل المحيط بكل شيء علماً" .

والإمام عبد القاهر الجرجاني[1] يرى أن النظم ليس شيئاً غير توخي معاني النحو وأحكامه فيما بين الكلم، وإلا كان من أعجب العجب أن يزعم زاعم أنه يطلب المزية في النظم ثم لا يطلبها في معاني النحو وأحكامه التي النظم عبارة عن توخيها فيما بين الكلم، وذلك يقتضي دخولَ الاستِعارة والكنايةِ والتمثيل وسائرِ ضروب المجاز وغير ذلك من مقتضيات النظم وعنها يحدث وبها يكون، إذ لا يتصور أن يدخل شيء منها في الكلم وهي أفراد لم يُتَوَخَّ فيما بينها حكمٌ من أحكام النحو.

وطريق المزية المطلوبة في هذا البابِ الفِكْرُ والنظر من غير شبهة، ومحال أن يكون للَّفْظِ صفة تستنبط بالفكر، ويستعان عليها بالروية، ولا يعد الإعراب من الوجوه التي تظهر بها المزية، لأن العلمَ به مشترك بين العرب كلهم، ولا يستنبط بالفكر ويعان عليه بالروية، فليس أحدهم بأعلم من الآخرين برفع الفاعل.

وإنما تقع الحاجة إلى العلم بما يوجب الفاعلية للشيء إذا كان إيجابها من طريق المجاز كقوله تعالى: ﴿ ... فَمَارَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمۡ ... ﴾ (البقرة: ١٦) وأشباه ذلك مما يجعل الشيء فيه فاعلاً على تأويل يدق، ومن طريق يلطف، وليس يكون هذا عِلْماً بالإعراب ولكن

---

(١) دلائل الإعجاز للجرجاني ص ٣٠٠.

بالوصف الموجب للإعراب، والغرض من القول بأن الفصاحة في المعنى دون اللفظ: أن المزية التي من أجلها استَحَق اللفظُ الوصفَ بأنه فصيح، عائدة في الحقيقة إلى معناه، وهي تظهر في الكلم من بعد أن تدخل الكلمة النظم، وإذا أفردت لم تَرُمْ فيها نظماً ولا مزية لها، فوجب العلم قطعاً وضرورة أن تلك المزية في المعنى دون اللفظ.

وفي "الإشارة إلى الإيجاز"[1] للعز بن عبد السلام وجوه ذكر منها: صرف العرب عن المعارضة مع قدرتهم عليها وحرصهم على إبطاله، أو صرفهم عن القدرة على معارضته.

وابن جزي الكلبي في كتاب "التسهيل لعلوم التنزيل"[2] ساق وجوها عشرة من وجوه الإعجاز من بينها ما فيه من التعريف بالباري جل جلاله، وذِكْرِ صفاتِه وأسمائه وما يجوز عليه وما يستحيل والدعوة إلى عبادته وإقامة البراهين، والرد على الكافرين.

ومن كل ما سبق نتبين أنه لم يسلم من الرد غير النظم وجهاً لإعجاز القرآن الكريم ، ولا يتصور خلو الآيات الأولى من النظم حال نزولها على النبي ﷺ أول بدء الوحي.

وهذه الآيات قد بدأ بها الوحي التحدي واطرد ذلك التحدي إلى آخر ما نزل من القرآن الكريم، ولا يسلم لوجه واحد الدوران في جميع القرآن الكريم غير النظم.

---

(١) كتاب الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز للعز بن عبد السلام ص ٢٧١.

(٢) كتاب التسهيل لعلوم التنزيل ص ١٤.

ولو لم يكن التحدي بمحض النظم لم يكن للقرآن أن يتحدى بشيء مثلِه مفترًى، والافتراء الكذب، والكذب لا يطابق الواقع نفياً أو إيجاباً، فليس المراد من معارضتهم حين التحدي أن تكون صادقة بل أن تكون كنظم القرآن وإن كان المعنى الذي تحمله كلماتُه مفترًى. فما بالهم قالوا افتراه وأعجزهم عن الإتيان بمثله مفترى؟

والمجال أعمق وأفسح من أن يسرد من خلال هذه الصفحات، ولكنها مجرد أمثلة من إسهامات المسلمين توضح مدى اهتمامهم على مد الزمن الإسلامي وإلى يومنا هذا، وهذا التناوب في تناول مثل هذه الأمور بالدراسة يؤكد كرم عطاء القرآن لكل عصر حسب ما يتفق له من فهوم، سواء ما كان منها من خصائص القرآن أو من وجوه إعجازه حقاً.

المبحث الرابع: مؤلفات في الإعجاز الذاتي للنص القرآني

أوردت في هذا الفصل بعضاً من المؤلفات مما يتعرض لوجوه الإعجاز أو اعتنى بها على نحو من الأنحاء وهذه المؤلفات هي:

١- من روائع القرآن الكريم - الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي.

٢- تاريخ آداب العرب ج ٢، لمصطفى صادق الرافعي.

٣- ثلاث رسائل في إعجاز القرآن - للرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني.

٤- الشفا بتعريف حقوق المصطفى - للقاضي عياض.

٥- بصائر ذوي التمييز - للفيروزآبادي.

٦- الجامع لأحكام القرآن - للقرطبي.

٧- فكرة إعجاز القرآن منذ البعثة حتى عصرنا الحاضر - لنعيم الحمصي.

٨- قضية الإعجاز القرآني - للدكتور عبدالعزيز عبد المعطي عرفة.

٩- كتاب التسهيل لعلوم التنزيل - لمحمد بن أحمد بن جزي الكلبي.

١٠- الكشاف - للزمخشري.

١١- منهاج البلغاء وسراج الأدباء وملحق به - لأبي الحسن حازم القرطاجني.

١٢- كتاب الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق المجاز- ليحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم العلوي.

١٣- معترك الأقران في إعجاز القرآن - للسيوطي.

١٤- الإتقان في علوم القرآن - للسيوطي.

١٥- نِعْمَ الوجيز في إعجاز القرآن العزيز - للشيخ الشاب العلامة عبد العزيز أحمد البرهاروي، وهذا الكتاب نشر جُمْلَةً ضِمن مجلة المجمع العربي الباكستاني رئيس التحرير د. ظهور أحمد أظهر.

١٦- الإعجاز البياني للقرآن - للدكتورة عائشة عبد الرحمن "بنت الشاطئ".

١٧- النبأ العظيم - للدكتور محمد عبد الله دراز.

١٨- مفتاح العلوم - للإمام أبي يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد ابن علي السكاكي.

١٩- إعجاز القرآن - للقاضي أبى بكر محمد بن الطيب محمد جعفر ابن القاسم الباقلاني البصري.

٢٠- كتاب المنهاج في شعب الإيمان - لأبي عبد الله الحسين بن الحسن الحليمي.

٢١- المعجزة الكبرى - للإمام محمد أبي زهرة.

٢٢- معجزة القرآن الكريم - للشيخ محمد متولي الشعراوي.

٢٣- القرآن معجزة ومنهج - للشيخ محمد متولي الشعراوي.

٢٤- الملل والنحل - للشهرستاني.

٢٥- الفصل في الملل والنحل - لابن حزم الأندلسي.

٢٦- إظهار الحق - لرحمت الله الهندي .

٢٧- التفسير الكبير مفاتيح الغيب - لفخر الدين الرازي.

٢٨- البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن - لكمال الدين عبد الواحد بن عبدالكريم الزملكاني.

٢٩- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور - للإمام برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي.

٣٠- البرهان في علوم القرآن - لبدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي.

٣١- الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم - للدكتور محمد محمود حجازي.

٣٢- سر الفصاحة - لعبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان -أبي أحمد- الخفاجي الحلبي .

٣٣- دلائل الإعجاز - للإمام مجد الإسلام أبي بكر عبد القاهر بن عبدالرحمن محمد الجرجاني.

٣٤- فتح البيان في مقاصد القرآن - لأبي الطيب صديق القنوجي.

٣٥- القصور العوالي "مجموعة رسائل" - لأبي حامد الغزالي.

٣٦- مقالات الإسلاميين - لأبي الحسن الأشعري.

٣٧- تفسير المراغي - لأحمد مصطفى المراغي.

٣٨- الفوز الكبير في أصول التفسير - للإمام ولي الله الدهلوي، نقله عن الفارسية سليمان الحسيني الندوي.

٣٩- رسائل تحت عنوان أحدث تفسير لآيات القرآن الكريم، لعبدالغني محمد.

٤٠- التفسير البياني للقرآن الكريم - للدكتورة عائشة عبد الرحمن "بنت الشاطئ".

هذه بعض دراسات الإعجاز القرآني على أنحاء متعددة، منها ما انفرد بالحديث عن الإعجاز واختص به، ومنها ما تناوله في أحد فصوله، ومنها ما كان تأريخاً له، ومنها ما تناول الوجوه بالبيان أو بالنقد، ومنها ما كان عاماً في دراسته الإعجاز، أو ما كان مختصاً بوجه منها.

الفصل الرابع
من مظاهر العناية بوجوه الإعجاز

المبحث الأول: الإعجاز العلمي للقرآن الكريم:

كثرت في الآونة الأخيرة وبالتحديد عبر القرنين الماضيين أو دونهما دراسات خرجت من ذاتية الإعجاز النفسي للقرآن إلى صور أخرى من الإعجاز لا تتأتى بغير التأويل البعيد لبعض آيات القرآن الكريم.

"ومعجزة القرآن تختلف عن معجزات الرسل السابقين في كثير من زوايا الإعجاز، وللقرآن إعجاز لا يتنبه إليه العقل إلا بعد أن ينشط ويكتشف المستور عنه من حقائق الكون وأسراره، حينئذ يتبين أن للقرآن وجوهَ إعجازٍ أخرى أو جديدة تزيد في معنى الإعجاز أو تعطي أبعاداً جديدة لما يقال"[1].

هذا ما قرره الشيخ الشعراوي من أن ابتداء تنبه المسلم إلى وجه إعجازي قد لا يتأتى من القرآن مباشرة، بل ينبع رفده من الكون ويبزغ بريقه من أسرار هذا الكون سواء ما كان بالفكر العقلي المجرد أو بواسطة ما يتوصل به إلى غموض هذه الأسرار من وسائل.

ويقول الشيخ: " فإذا انتقلنا إلى الاختراعات الحديثة نجد أنها

---

(١) معجزة القرآن محمد متولي الشعراوي ١/ ٢٣.

اكتشاف لقوانين الكون"[١] وفي صفحة أخرى يقول الشيخ[٢] "إن القرآن لم يأت ليعلمنا أسرار الوجود ولكنه أشار إليها وسجلها ليظهر الإعجاز الإلهي للناس في كل عصر ومع تقدم العلم البشري... على أن ربط القرآن الكريم بالنظريات العلمية شيء لا يجب أن يحدث، فالقرآن لا تُرْبَطُ صحتُه باتفاقه مع نظرية علمية أيا كانت، ولكن العلم هو الذي يستمد صحته وبيانه إذا اتفق مع آيات القرآن الكريم، فكل علم مخالِف لحقائق القرآن هو علم زائف، لأن قائل القرآن هو الله سبحانه وتعالى وخالق الكون هو الله سبحانه وتعالى".

والأستاذ فوزي شعبان مترجم كتاب أصل الإنسان بين العلم والكتب السماوية لمؤلفه دكتور موريس بوكاي في مقدمة الترجمة يقول[٣]: "وقد احتوى القرآن الكريم على آيات بينات في العلوم الطبيعية أخرجها الأستاذ يوسف مروة في كتاب "العلوم الطبيعية في القرآن الكريم" وبلغت (٧٧٤) آية بالتحديد ومفصلة كما يلي: الرياضيات ٦١، الفيزياء ٢٦٤، الذرة ٥، الكيمياء ٢٩، النسبية ٦٢، الفلك ١٠٠، المناخيات ٢٠، المائيات ١٤، علم الفضاء ١١، علم الحيوان ١٢، علم الزراعة ٢١، علم الأحياء ٣٦، الجغرافيا العامة ٧٣،

---

(١) معجزة القرآن محمد متولي الشعراوي ٢/٢٨٧.

(٢) معجزة القرآن محمد متولي الشعراوي ٣/٢٩٨-٢٩٩.

(٣) أصل الإنسان بين العلم والكتب السماوية ص ٥.

علم السلالات البشرية ١٠، علم طبقات الأرض ٢٠، علم الكون وتاريخ الأحداث الكونية ٣٦ " .

وقد سبق الأوائلُ إلى تعداد ما يحتويه القرآن من مثل ذلك، فقال ابن أبي الفضل المرسي في تفسيره: "جمع القرآن علومَ الأولين والآخرين بحيث لم يُحِطْ بها علماً حقيقة إلا المتكلم بها ثم رسولُ الله ﷺ خلاف ما استأثر به سبحانه وتعالى، ثم روت عنه -أراد عن النبي ﷺ- معظمَ ذلك سائرُ سادات الصحابة وأعلامهم... إلى أن قال: ونظر قوم إلى ما فيه من الآيات الدالات على الحكم الباهرة فذكر علم المواقيت والمعاني والبيان والبديع والطب والهيئة والهندسة والجدل والمقابلة والنجامة وأصول الصنائع وأسماء الآلات التي تدعو الضرورة إليها: كالخياطة والحدادة والبناء والنجارة والغزل والنسيج والفلاحة والصيد والغوص والصياغة و الزجاجة والفخارة والملاحة والكتابة والخبز والطبخ والغسل و القصارة والجزارة والبيع والشراء والصبغ والحجارة والكيالة والمنكوحات وجميع ما وقع ويقع في الكائنات ما يحقق معنى قوله تعالى: ﴿ ... مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ... ﴾ (سورة الأنعام: ٣٨) انتهى ملخصاً من الإتقان[1].

وقال ابن سراقة: "من بعض وجوه إعجاز القرآن ما ذكر الله فيه من أعداد الحساب والجمع والقسمة والضرب والموافقة والتأليف والمناسبة

---

(١) الإتقان ٢/١٠٧٢-١٠٣٣.

والتصنيف والمضاعفة ليَعْلَمَ بذلك أهلُ العلم والحساب أنه ﷺ صادق في قوله، وأن القرآن ليس من عنده إذ لم يكن ممن خالط الفلاسفة ولا تلقى الحُسَّابَ وأهل الهندسة"(١).

وتحت عنوان شهادات منصفة ساق الأستاذ محمد سامي محمد علي في كتابه "الإعجاز العلمي في القرآن الكريم"(٢) شهادة أحد مشاهير العلماء، وهو عالم غربي من أكبر الجراحين والأطباء المشهورين وهو الدكتور موريس بوكاي الذي شرح الله صدره للإسلام فأسلم بعد علم ودراية.

وقد ألقى الدكتور محاضرة في أكاديمية العلوم الفرنسية بباريس سنة ١٩٦٧م حضرها حشد كبير من العلماء في شتى فروع العلوم الحديثة، وبعد أن عرض حقائق القرآن الكريم في شتى ميادين العلم سأل أخيراً هؤلاءِ العلماءَ قائلاً: "هل لكم أن تخبروني من أين جاء محمد بهذا العلم الحديث، وقد أكدتم أنفسُكُم يا علماء الغرب والشرق وبعد محاولات طويلة عبر الزمن أن ما جاء منسوباً للتوراة والإنجيل جاء مناقضاً للعلم الحديث ومفاهيمه كافة فطرحتموه جانباً، تاركين أمره لخيال المؤمنين وأهل الأديان... فمن أين لمحمد هذا العلم؟".

---

(١) الإتقان ٢/١٠٣٣.

(٢) الإعجاز العلمي في القرآن الكريم ص ١١٦، نقله عن كتاب القرآن والعلوم الحديثة لإبراهيم فواز عراجي ص ٦١.

فسكت الجميع .. ولا من مجيب .. فقال بوكاي:

"بالطبع لا جواب عندكم! و الجواب عندي: أنه من عند الله وأن محمداً رسول الله، وقد أحدثت هذه المحاضرة ضجة إعلامية في أنحاء أوربا.

ميزان تفسير الآية تفسيراً يتعلق بالعلوم الحديثة:

واستقبل الأستاذ محمد سامي الحديث عن علوم الإعجاز العلمي في القرآن الكريم بميزان لتفسير الآيات تفسيراً يتعلق بالعلوم الكونية قائلاً[١] " : النظرية –التي بين الأخذ والرد– لا يصلح لنا تطبيقها على الآية القرآنية، أما الحقيقة العلمية فمن المستحيل أن تتناقض أو تتصادم مع الآية القرآنية، ونتحدى الآن أو في المستقبل ظهور حقيقة علمية تخالف القرآن الكريم.

إذاً لا مانع إطلاقاً أن نطبق الحقيقة العلمية على الآية القرآنية التي تلفت الأنظار إلى إشارات علمية كونية.

لكن علينا ونحن نبحث في أسرار القرآن الكريم لاستخراج الدرر واللآلئ العلمية أن نُخضع تفسيرنا هذا لشروط نَصٍّ عليها علماء التفسير الذين عُنُوا بمناهج البحث، وهذا الميزان لا يتمثل في أكثر من الميزان الذي نعتمد عليه لتفسير أي كلام عربي، ويتكون هذا الميزان من المقومات والأركان التالية:

---

(١) الإعجاز العلمي في القرآن الكريم محمد سامي ص ٢٦.

١- خضوع التفسير لدلالات اللغة العربية وقواعدها التي لا خلاف عليها.

٢- خضوعه لقواعد تفسير النصوص المتفق عليها كأحكام العموم والخصوص والإطلاق والتقييد والمنطوق و المفهوم وما إلى ذلك من قواعد.

٣- ألا يتعارض التفسير معارضة حادة مع مضمون أي آية أخرى في القرآن بحيث لا يمكن الجمع بينهما بحال تحت ظل أي قاعدة من قواعد تفسير النصوص.

٤- ألا يتعارض التفسير معارضة حادة مع الدلالة الثابتة لنص حديث نبوي صحيح بحيث لا تترك هذه المعارضة سبيلاً سائغاً للتوفيق بينهما ".

ومن خلال التطبيق لضوابط هذا الميزان تلزم ضرورةُ الانطلاق من القرآن الكريم، وفي قوله تعالى: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ . . . ﴾ (فصلت: ٥٣) تحديد لكيفية الرؤية العلمية، بازغة أولاً من القرآن الكريم وهي في أوج ظهورها في الكون شاهدة بصدق القرآن، ولكن حين نأخذ من المشاهد النظرية تفسيراً للقرآن نكون قد أوقفنا أنفسنا في منزلق خَطِر، إذا ما جنحت النظرية إلى تعارض مع نظرية أخرى، وبالتالي يتوجب علينا التحسب إلى مثل هذه الأمور، فإنه حين يخفق المرء في استخراج المعاني المزيحة لحجب الجهل البشري بنور العلم القرآني ينصرف العلماءُ -بحسن نية هي السذاجة في أصلها- وأشباهُ العلماء إلى درك مطالب الإلحاح الساذج أن العلمَ يوافقُه القرآنُ.

وتفاسير القرآن على ضوء العلوم الحديثة - كتفسير المراغي والجوهري لم يثبت مضمون ما احتوته من مثل هذا بعد. ونخشى أن يستدعي هذا ضعضعةَ الإيمان في بعض النفوس التي لا تفرق بين خطأ المفسر أو الباحث وصحةِ النص القرآني[1].

وهناك من يرى صحة الانطلاق من خارج القرآن فيقول[2]: "ففي أيامنا هذه استطاع العلم أن يرى ما سبق إليه القرآن بالبيان والتعريف" مع أنه يبين معنى قولٍ منسوب إلى المسيح هو "ويخبركم بأمور آتية" ومعلوم أن الخبر لا يتوقف فهمه على أمر لاحق.

وكل هذا الكلام يصح في أبعاض كل هذه الفروع العلمية، فحين تجد فرعاً منها لا يلزم أن تستغرق الآيات تفاصيلَ هذا الفرع، ولكن تمتد من القرآن آيات توضح وتفسر بعض الحقائق الكونية في ظواهرها الطبيعية.

فكل ما يقع تحت رؤية البشر مع استدامة توحُّدِ هذه الرؤية مَدَّ الزمن هو الذي يُفترض فيه أن يكون حقيقة تواكب إشارات القرآن على نحو لا يُحْدِثُ اختلافاً في المفهوم في زمن ما.

---

(١) فكرة الإعجاز ص ٣٩٠.

(٢) قالوا عن الإسلام: الندوة العالمية للشباب الإسلامي ص ٤٩ نقلاً عن كتاب محمد في التوراة والإنجيل والقرآن ص ٤٧، ٤٨ لمؤلفه إبراهيم خليل أحمد وهو قس من مواليد الإسكندرية أسلم رسمياً عام ١٩٥٩م وانظر الكتاب نفسه: محمد في التوراة والإنجيل والقرآن دار المنار للنشر والتوزيع ط ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م ص ٥٥ فهو موضع الاستشهاد.

وما يأخذ في حين تفسيراً يختل في حين آخر لا شك شيء لم يُعَايَنْ بغير افتراضاتٍ ونظريات بُحِثَ لها عن تفسير فيه مجمل تفصيل الرؤية لظاهرة غامضة التفسير، غائرة المدى.

وأقرب مثال طروء تناقضات عدة في تفسير اختلاف حركة الشمس أو الأرض أو هما معا، والصورة التي تتخذها الأرض في الذهن لإقامة تفسيرٍ لا برهان على النظام الشمسي الدقيق، حتى بدت في أفق علم الفلك نظريات ثلاث تشرح كل منها تعليل الليل والنهار و الفصول الأربعة وغير ذلك مما يتعلق بهذا.

وإحدى هذه النظريات -نظرية كوبرنيقوس- يمكن القول أنها استحكمت في التصور الفكري البشري واستولت عليه، بغض النظر عن دلالات نصوصٍ دينية.

ولم يكن للقرآن أن يقبض إسهاماته في سبر البشر أغوار ظواهر الكون فأمد بما يقيم به نظرية وينفي به أخرى، ولا كمال للقبولِ لنظرية واحدة من الثلاث، بل تحتمل الآياتُ والأحاديثُ مباركةَ كلِّ نظريةٍ في طرف منها أو في بعضها الأكبر..

فحين تفترض بعض النظريات أن الأرض في شكلها كرة مفلطحة (غير كاملة الاستدارة) وتدور حول نفسها وحول الشمس ليحدث بالدورتين الليل والنهار و الفصول الأربعة، ترى نظرية أخرى أن الأرض لا تدور بل ليست لها جاذبية، وتنفي بعضا مما ألفه الناس وآنسوه من نظرية كوبر نيقوس التفسيرية لحركة المجموعة الشمسية، ونجد النظرية

المعارضة للمألوفة من النظريات ترى أن الأرض لا تدور وإنما تدور حولها الشمس[1] وأن سجودها تحت العرش يكون فوق المحيط في الجهة المقابلة لمركز اليابسة (مكة المكرمة) وأن هذا الموضع لا يختلف باختلاف الأيام على مدار العام.

وتبرز نظرية ثالثة تعضد النظرية الوردانية السابقة في بعضها وتختلف عنها في أن الكون أرضي بمعنى أن الأرض ليست كروية، بل مجوفة مسقوفة بالسماء ونحن في الداخل والشمس تدور في فلكها داخل الأرض التي يحيا فيها جميع الأحياء[2].

ولسنا بحاجة إلى ضرورة مد الأيدي لنؤيد نظرية ونلغي أخرى إلا على أساس من انبثاق وجه مرجح لإحدى النظريات الثلاث.

وما سقتُ هذا إلا استدلالاً على أهمية التريث في سحب المعاني من النظريات الفرضية التفسيرية للظواهر الكونية إلى معاني القرآن الكريم.

بل يجب أن لا نكترث لعدم التوافق بين النظريات العلمية و المعاني القرآنية، وحَرِيٌّ بنا أن نقف على مثال يؤيد أهمية الأخذ من القرآن أَوَّلا وابتداءً، لأنه لا يعطي في بسط المعنى إلا حقائق العلم حين يتكافأ الفهم عن القرآن مع صحة النظر في الكون.

---

(١) قصة الخلق من العرش إلى الفرش عيد ورداني. الشركة العصرية للنشر – المركز الدولي للنشر، الصفحات ٢٩٤، ٣٥٢، ٣٨٧، ٤٧٧، ٥٣٣.

(٢) تناقض علم الفلك مع القرآن الكريم وتوافق نظرية الكون الأرضي معه، مصطفى أحمد عبد القادر.

ولقد استجاب الدكتور سعد محمد محمد الشيخ المرصفي لتقرير القرآن لحقيقة كونية في كتابه "الكعبة مركز العالم"[1] متخذاً من قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ... ﴾ (البقرة: ١٤٣) منطلقاً لبحث الوسطية المذكورة في القرآن، فخرج بنتيجة علمية مركوزة على دراسات بالحاسب الآلي، مفاد هذه النتيجة أن الوسطية لا تعني الوسطية المعنوية فحَسْب،بل يُرَادُ بها كذلك الوسطية الحسية، حيث برهن على أن واقع الأرض -بمقاييس العلم الحديث- لا يتوسط يابسها وقراها إلا أم القرى، ومركزها هو الكعبة المشرفة، فتحقق بيان معنى: ﴿ ... وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ... ﴾ (الأنعام: ٩٢).

ومن هذا يتضح أن ما كان البدء به من القرآن هو المعول عليه في احتسابه وجه إعجاز، أما ما استجلب من تفسير النظريات – دون الحقائق – العلمية، فقد يروق في أول الأمر ثم يفارق التوافق الفهم عند بروز نظرية أخرى تناهض الأولى أو تنقضها.

---

(١) الكعبة مركز العالم -مكتبة المنار الإسلامية- الكويت، مؤسسة الريان للطباعة والنشر والتوزيع – بيروت، ومثل ذلك في كتاب الكعبة المشرفة سرة الأرض ووسط الدنيا. للدكتور أحمد السيد دراج. دار العلم والثقافة القاهرة.

المبحث الثاني : مؤلفات في الإعجاز العلمي للقرآن الكريم :

ألمح الحديث فيما سبق إلى بعض ما عرض له الباحثون في الوجوه العلمية لإعجاز القرآن وهاهي مؤلفات أولت هذه الوجوه عنايةً كبيرةً منها ما تناول وجهاً ومنها ما بحث وجوهاً :

١- معجزة القرآن الكريم - للشيخ محمد متولي الشعراوي .

٢- أصل الإنسان بين العلم والكتب السماوية - للدكتور / موريس بوكاي .

٣- خلق الإنسان بين الطب والقرآن - للدكتور / محمد علي البار .

٤- الصيام معجزة علمية - للدكتور / عبد الجواد الصاوي .

٥- الظاهرة القرآنية - لمالك بن نبي .

٦- المعجزة "النظرية الأولى" ، القدر "النظرية الثانية" - جزءان ، للمهندس عدنان الرفاعي .

٧- الإعجاز العلمي في القرآن الكريم مع آيات الله في السماء والأرض - جزءان ، للدكتور / حسن أبي العينين .

٨- معجزة القرآن - لنعمت صدقي .

٩- الإعجاز العلمي في القرآن الكريم - لمحمد سامي محمد علي .

١٠- الإعجاز العلمي في القرآن الكريم - للدكتور السيد الجميلي .

١١- الإعجاز الطبي في القرآن الكريم - للدكتور / السيد الجميلي .

١٢– إعجاز القرآن في خلق الإنسان – للدكتور / محمد كمال عبد العزيز.

١٣– قصة الخلق من العرش إلى الفرش – لعيد ورداني.

١٤– الكعبة مركز العالم – للدكتور / سعد محمد محمد الشيخ المرصفي .

١٥– هندسة النظام البيئي في القرآن الكريم – للدكتور / عبد العليم عبد الرحمن خضر.

١٦– معالم القرآن في عوالم الأكوان – للشيخ أحمد محيي الدين العجوز.

١٧– تناقض علم الفلك مع القرآن الكريم وتوافق نظرية الكون الأرضي معه – لمصطفى أحمد عبد القادر.

١٨– الإعجاز العددي للقرآن الكريم – للدكتور / عبد الرزاق نوفل.

١٩– تفسير الجواهر – للشيخ الطنطاوي الجوهري.

٢٠– تفسير المراغي – للشيخ أحمد مصطفى المراغي.

٢١– موسوعة الأعداد في القرآن الكريم – لمهدي سعيد رزق كريزم.

٢٢– ظواهر كونية في القرآن الكريم – لمحمد فيض الله الحامدي.

٢٣– رسائل في أحدث تفسير لآيات القرآن الكريم – لعبد الغني محمد .

٢٤- الكعبة المشرفة سرة الأرض ووسط الدنيا - للدكتور/ أحمد السيد دراج.

٢٥- إعجاز القرآن في علم طبقات الأرض - لمحمد محمود إبراهيم.

هذا ما يسر الله تعالى لي الاطلاع عليه من مؤلفات تناول أصحابها من العلوم الحديثة ما قبل التوافق مع إشارات القرآن الكريم ولو بالتأويل البعيد .

وقد سبق القول بأن هناك اختلافاً بين خصائص القرآن الكريم وإعجازه وإن كان الأمران برهانين على أن القرآن كلامُ الله تعالى أنزله على نبيه محمد ﷺ .

ومن عجيب أمر هذا الكتاب نزوله مُنَجَّماً حسب أحداث سني نزوله، ويأتي ترتيبه على غير ترتيب النزول، ومع هذا لم يكن أولُه نزولاً بأقل في البلاغة والبيان من آخره، لذا تجد نظمه من فاتحته إلى خاتمته غاية في الجمال، وهذا لا يتأتى مثله لأحد، ولا يبلغ مداه مهما فصح لسانه وبلغ بيانه متكلمٌ.

وهو كتاب هداية، يعالج في عَرْضِه كل ما يعرض للنفس وما يعتريها، ومع هذا فغايته واحدة، نلقي عليها بعضاً من الضوء في المبحث التالي .

المبحث الثالث: موضوع المنهج القرآني ووحدته:

لا تعني الوحدة الموضوعية احتواء القرآن الكريم على موضوع واحد، وإنما إذا كان القرآنُ الكتابَ المقروء، والكون هو الكتابَ المنظور، فإن محتواهما واحد، بمعنى أن الكون تمتد منه شواهدُ كثيرةٌ لكن دلالاتها واحدة، هي أن للكون إلهاً، والقرآن هو القصة الصادقة الوحيدة للإنسان وما يحيط به، بكل ما ترامت أطراف اتصافه، وبكل أبعاد آثار وجوده وفكره وحركته في الحياة، فالقرآن قضيته واحدة هي التوحيد، يُصَرِّفُ الدافعَ إليه نحو كل نمط من أنماط السلوك البشري لئلا يكون للناس على الله تعالى حجة.

والقرآن يُصَرِّفُ الآيات الكونية في اعتبار القارئ ليستجمع دلائل التوحد بين كلام الله المقروء وكلامه المنظور، ثم لا يجد المرء نفسه إلا بين خيارين: إقرارِه بالعبودية لله لأنه لا يمكن أن يخرج من إطار ما سيق من صفات بشرية في القرآن بحجة أنه لم يكن فيه ما لا يريده القرآن ولا تحدث عنه، وكذلك لا يخرج بحال عن قوة حاجته إلى ما يحيط به من مكونات مخلوقة لله تقوم بها حياةُ ذلك الإنسان، فأنَّى يُصْرف؟.

والأمر الثاني أو الخيار الآخر جحوده لكل ما حوله من أعلام القول الأفقي في الكون بأن للكون خالقاً هو الإله الحق الله، وأعني بالقول الأفقي أن الإنسان يدرك في عمره بسطة أفقية مكانية على قدر سيره

في الأرض يتبين من خلالها جلائل الآيات في الأرض على عظمة الخالق الناطق بها عظمةُ المخلوق.

ويأتيه القرآن بأعلام الكون المستطيل مضروباً على الزمن بكل ما يحتويه من آيات الأحداث تاريخاً للآثار البشرية على طول الزمن في عَرْضِ الكون.

فالقرآن بأسلوبه الفريد يستحيي في قارئه الشعورَ بجلال المتكلم في جمال الكلام فيدرك في الأشياء أسرارها على نحو ما أقامها الله في آفاق الخلائق إقراراً منها بلسان تعيه القلوب فتجيبها بأنه لا إله إلا الله، وجمال الكلام وبروز العجائب فيه تستنطق من العجز قدرة الشهادة بأن محمداً رسول الله.

صرفت آيات القرآن، فالقصص آيات، والأحكام آيات، والأمر آيات، والنهي آيات، والوعد آيات، والوعيد آيات، ويمكنك أن تقول: القرآن آيات، ولا يمكنك قول القرآن قصص أو أحكام أو أوامر أو نواه أو وعد أو وعيد. لأنك حين تقول هذا تكون مخطئاً من وجهين: **أحدهما** أنك صنفت المخاطَبَ على نحو واحد، والناس على أَنحاء عدة، **ثانيهما**: أن القرآن استجمع صفاتِ المكلفين مخاطِباً كلا بما يليق به، فمن يرى في حياته عبرة تُنَبِّهُ فيه اليقينَ بأن الإنسان خُلِقَ ضعيفاً أو خَلْقٌ ضعيف أَوْكَلَتْ آياتُ القصص شعورَه إلى الاعتبار إلى الماضي، ليعيد نفسه على أساس أنه بذاته سيكون ماضياً كمن سبقه.

وليس للمطيع خطاب الوعيد كالعاصي، والناس صور تناولها القرآن ممزوجة كي ينقب كل إنسان فيه عن دخائلِ نفسِه، فإنه حين يتوزع القرآن على مجموع الصفات البشرية، كل بحسب ما يوافقه، فإن الشخصيات النفسية يضفي الحديث عنها توافقاً أو إحساساً بالتوافق بين الكلام ونفس القارئ، وليس فيه من ذلك شيء، وحين يُبْسَط الحديثُ بسطًا مصروفاً من كذا إلى كذا وتصادف النفسُ حقائقَ تحرِّك في القارئ شعوراً بحقيقة العلاقة بين الخالق والمخلوق، لا يكون من الإنسان إلا صدق الالتجاء إلى حمى ربه وخالقه سبحانه.

فالوحدة الموضوعية للقرآن يراد بها أن إلى ربك المنتهى، إذ تنتهي الآيات كلها إلى الرجوع من الإنسان عن الخلق إلى الخالق سبحانه وتعالى.

المبحث الرابع: عناية دولية بالإعجاز:

تجدر الإشارة إلى أن إعجاز القرآن لم تتوقف العناية به على الجهود الفردية المكتوبة كما انطوت عليه الصفحات السابقة، ولكن بعض الجهات تُولِي هذه الموضوعاتِ جهوداً تبذل على المستوى الجماعي الدولي.

ولن نخرق علماً لأحد بتجهيله أمر وسائل الإعلام على اختلاف أنماط إعلامها بما تقوم به من نشر ما عَنَّ للقائمين على البرامج العلمية الدينية من إعجاز القرآن أو السنة أو هما معاً.

وهناك جهة ذات قدر عظيم وخطر جليل وهى رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة شرفها الله تعالى. هذه الجهة تضم ضمن هيئاتها هيئة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة.

وإسهامات هذه الهيئة كما جاء في غلاف كتاب "الصيام معجزة علمية" للدكتور/ عبد الجواد الصاوي ترمي إلى:

١- وضع القواعد والمناهج وطرق البحث العلمي التي تضبط الاجتهادات في بيان الإعجاز العلمي في القرآن والسنة.

٢- إعداد جيل من العلماء والباحثين لدراسة المسائل العلمية والحقائق الكونية في ضوء ما جاء في القرآن والسنة.

٣- صبغ العلوم الكونية بالصِّبَغِ الإيمانية وإدخال مضامين الأبحاثِ المعتمدة في مناهج تعليمية في شتى مؤسساته ومراحله.

٤- الكشف عن دقائق معاني الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة المتعلقة بالعلوم الكونية في ضوء الكشوف العلمية الحديثة ووجوه الدلالة اللغوية ومقاصد الشريعة الإسلامية دون تكلف.

٥- إمداد الدعاة والإعلاميين في العالم أفراداً ومؤسسات بالأبحاث المعتمدة للانتفاع بها، كُلٌّ في مجاله.

٦- نشر هذه الأبحاث بين الناس بصورة متناسبة مع مستوياتهم العلمية والثقافية، وترجمة ذلك إلى لغات المسلمين المشهورة واللغات الحية في العالم.

ومع هذا فإن هذه الهيئة لم يرد ضمن أهدافها أنها ذات سلطة رقابية على ما يؤلف بعيداً عنها مما يورد من وجوه الإعجاز مما لم يقبله عقل أو يقل به أحد.

والأمل أن تُمْلي هذه الهيئة شروطها على دور النشر حتى لا يكون الإعجاز منطلقاً لهدم الكيان التقديسي للقرآن الكريم والسنة في نفوس المسلمين، كما يحدث بإثارة الشبهات في مثل هذه المؤلفات دون الرد عليها. وإذ يكون خضوع ما يؤلف في الإعجاز العلمي لمثل هذه الهيئة، سبيلاً إلى خدمة الجوانب العلمية في الكتاب والسنة على نحو صحيح، فإنه يلزم فرض رقابة يمكن أن تتمثل في عرض الكتاب على هيئة الإعجاز أولاً قبل الموافقة منها على طباعته في أي مكان من العالم.

أما ما طرح من مؤلفات في أسواق الكتب فيمكن عقد دوريات تقوم بدور المجيز أو المانع لنشر الكتاب في هدوء واستقرار لا يطمح من ورائه مؤلفٌ إلى شهرة ذائعة لكتابه، حتى لا يكون السبيل مخالفاً للغرض.

كلمة أخيرة

هكذا تمالأت الدراسات عاكفة على مدى بلوغ سرائر الكتاب المجيد، فسلكت أثمن نظام من أطهر وأقدس كتاب، وما أخذت غير قطر من بحر، وما طاولت غير أفكارها في فهومه، وظل يطوي عنها ما به يستحث البحث جيلاً بعد جيل، حتى آنست أنها لم تكن غير دقائق من فيضٍ جليل، فأثمرت في ربوع العلم تفرد الكتاب عن جملة ما في تاريخ الأرض من كتب، فإنه لم تنل علومٌ شرف امتياز الكثرة والتكثر في نظر كتاب غيره، وما تداول الباحثون موضوعاً حتى استَجَدَّ لهم الكثيرُ من أمره . فأعجز الناس طرا حَصْرُ متناوله، وكأنهم يرون في كل لمحة بصيرةٍ جدَّة تنزُّله، ولم يوص سالف خليفته في أخذ وجهة تحدد من مساره، بل تبرق لإبداعات الرؤى فيه أنماط تفك المقلد من إساره، فإذا لكل باحث بهجة يظن بها بلوغ النهاية، وما هو إلا في عداد وجوه الإعجاز برهانُ عَجْزٍ وآية، وأنَّى يبلغ مبتدئ بخُطْوَةِ دَرْسِهِ آفاقَ غاية ؟ وهذا تمام ما يسر الله من الحديث عن عناية المسلمين بوجوه إعجاز القرآن في هذا البحث. على أن الكلام لا يؤذن بالانتهاء منه وما هي إلا خشية الإطالة والخروج بها عن القدر المطلوب، وقد خرج والله المستعان.

والله أسأل التوفيق والقبول .إنه سميع قريب.

أهم مراجع البحث

١- الإتقان في علوم القرآن لأبي الفضل جلال الدين السيوطي . تقديم وتحقيق د/ مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير - دمشق، بيروت، الطبعة الأولى .

٢- الإسلام يتحدى، لوحيد الدين خان، تعريب ظفر الإسلام خان، مراجعة وتحقيق عبد الصبور شاهين . ط٢ دار البحوث العلمية ١٣٩٣هـ، ١٩٧٣م .

٣- الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز . للعز بن عبد السلام . الناشر المكتبة العلمية لصاحبها محمد سلطان النمنكاني بالمدينة المنورة .

٤- أصل الإنسان بين العلم والكتب السماوية للدكتور موريس بوكاي ترجمة فوزي شعبان . دار الكتب العلمية ط١ .

٥- إظهار الحق لرحمت الله الهندي ط دار التراث العربي ١٤٠٦هـ /١٩٨٦م.

٦- الإعجاز البياني للقرآن للدكتورة عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ) الطبعة الثانية دار المعارف بمصر، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م .

٧- الإعجاز العددي للقرآن الكريم للدكتور عبد الرازق نوفل . دار الكتاب العربي - بيروت - الطبعة الخامسة ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م .

٨- الإعجاز العلمي في القرآن الكريم لمحمد سامي محمد علي دار المحبة دمشق .

٩- إعجاز القرآن للقاضي أبي بكر محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم الباقلاني، عالم الكتب ـ بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م.

١٠- البرهان في علوم القرآن للإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم ـ مكتبة دار التراث ـ القاهرة.

١١- البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن لكمال الدين عبد الواحد عبد الكريم الزملكاني ط مطبعة العاني ببغداد الطبعة الأولى ١٣٩٤هـ، تحقيق د : خديجة الحديثي، دكتور أحمد مطلوب.

١٢- تاريخ آداب العرب ج ٢، لمصطفى صادق الرافعي، دار الكتاب العربي، بيروت لبنان. الطبعة الرابعة، ١٣٩٤هـ- ١٩٧٤م.

١٣- تناقض علم الفلك مع القرآن الكريم ـ وتوافق نظرية الكون الأرضي معه ـ لمصطفى أحمد عبد القادر، دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع -١ شارع منشأة محرم بك - الإسكندرية.

١٤- ثلاث رسائل في الإعجاز للرماني والخطابي والجرجاني، حققها وعلق عليها محمد خلف الله أحمد، ودكتور محمد زغلول سلام ـ دار المعارف الطبعة الرابعة .

١٥- الجامع لأحكام القرآن الكريم ـ لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ـ دار إحياء التراث العربي ، بيروت .

١٦- دلائل الإعجاز في علم المعاني للإمام عبد القاهر الجرجاني، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م .

١٧- رسالة التوحيد للإمام محمد عبده، دار إحياء العلوم ـ بيروت ط ١٣٩٦هـ / ١٩٧٦م.

١٨- سر الفصاحة لعبد الله محمد بن سعيد بن سلمان -أبي أحمد- الخفاجي الحلبي، دار الكتب العلمية الطبعة الأولى : ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م.

١٩- الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض طبعة محمد علي صبيح بمصر.

٢٠- الصيام معجزة علمية، للدكتور عبد الجواد الصاوي، الناشر دار القبلة للثقافة الإسلامية المملكة العربية السعودية ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.

٢١- الظاهرة القرآنية، لمالك بن نبي . طبعة دار النفائس.

٢٢- الفصل في الملل والنحل لابن حزم ط دار الفكر.

٢٣- فكرة إعجاز القرآن، لنعيم الحمصي. مؤسسة الرسالة الطبعة الثانية.

٢٤- الفوز الكبير في أصول التفسير لولي الله الدهلوي. نقله عن الفارسية سليمان الحسيني الندوي ـ دار الصحوة ١٤٠٧هـ / ١٩٨٦م.

٢٥- القاموس المحيط للفيروزآبادي طبعة مصطفى البابي الحلبي.

٢٦- قصة الخلق من العرش إلى الفرش لعيد ورداني، الناشر الشركة العصرية للنشر ـ المركز الدولي للنشر . الطبعة الثانية ١ / ٢ / ٢٠٠٠م.

٢٧- قضية الإعجاز القرآني وأثرها في تدوين البلاغة العربية . للدكتور عبدالعزيز عبدالمعطي عرفة . طبعة دار الكتب ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م.

٢٨- كتاب التسهيل في علوم التنزيل لمحمد بن أحمد بن جزي الكلبي، دار الكتاب العربي الطبعة الرابعة ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

٢٩- كتاب المحصل، وهو محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين من الحكماء والمتكلمين لأبي عبد الله محمد بن عمر بن حسين فخر الدين الرازي، تقديم وتحقيق د/حسين أتاي، مكتبة التراث ٢٢ شارع الجمهورية -القاهرة- الطبعة الأولى.

٣٠- كتاب المنهاج في شعب الإيمان للشيخ الإمام الحافظ أبي عبدالله الحسين بن الحسن الحليمي، تحقيق حلمي محمد فوده . دار الفكر الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م.

٣١- الكعبة مركز العالم للدكتور/ سعد محمد محمد الشيخ المرصفي. مكتبة المنار الإسلامية. الكويت، مؤسسة الريان للطباعة والنشر والتوزيع ـ بيروت .

٣٢- الكعبة المشرفة سرة الأرض ووسط الدنيا للدكتور/ أحمد السيد دراج، دار العلم والثقافة - القاهرة .

٣٣- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز للقاضي أبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي . تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد ـ دار الكتب العلمية الطبعة الأولى ١٤١٣هـ، ١٩٩٣م. توزيع دار الباز بمكة المكرمة .

٣٤- معترك الأقران في إعجاز القرآن لأبي الفضل جلال الدين عبد الرحمن أبي بكر السيوطي . ضبطه وصححه وكتب فهارسه : أحمد شمس الدين دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م.

٣٥- المعتزلة ـ لزهدي حسن جاد الله - منشورات النادي العربي في يافا، طبعة ١٣٦٦هـ- ١٩٤٧م .مطبعة مصر- شركة مساهمة مصرية.

٣٦- المعجزة الكبرى ـ القرآن ـ للإمام محمد أبي زهرة ط دار الفكر العربي ١٩٧٧م القاهرة .

٣٧- معرفة شأن القرآن . إعداد محمد أبي البشر رفيع الدين الطبعة الأولى ١٤١٨هـ مطبعة التوحيد .

٣٨- معجزة القرآن للشيخ محمد متولي الشعراوي كتاب اليوم ١٩٧٧م ـ أخبار اليوم المصرية.

٣٩- المعجزة (النظرية الأولى) القدر (النظرية الثانية) جزآن للمهندس عدنان الرفاعي ـ عنوان المؤلف : سوريا ـ درعة ـ تلشهاب. وهو الناشر .

٤٠- مفتاح العلوم للإمام أبي يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد ابن علي السكاكي. ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه نعيم زرزور- دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية.

٤١- مقالات الإسلاميين لأبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري - تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد - المكتبة العصرية . صيدا، بيروت.

٤٢- من روائع القرآن تأملات علمية وأدبية في كتاب الله عز وجل للدكتور/ محمد سعيد رمضان البوطي ـ مكتبة الفارابي دمشق، سوريا.

٤٣- منهاج البلغاء وسراج الأدباء ـ لأبي الحسن حازم القرطاجني. دار الغرب الإسلامي ط٣، بيروت ١٩٨٦م .

٤٤- موسوعة الملل والنحل للشهرستاني الطبعة الأولى ١٩٨١م مؤسسة ناصر للثقافة .

٤٥- النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن. دكتور/ محمد عبد الله دراز دار القلم ـ الكويت، الطبعة السادسة ١٤٠٥هـ / ١٩٨٤م.

الفهرس